أسماء اللهِ الحسنى

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا

المُلك • الغُفّار • الرُزاق • العُظيم • الأعلى

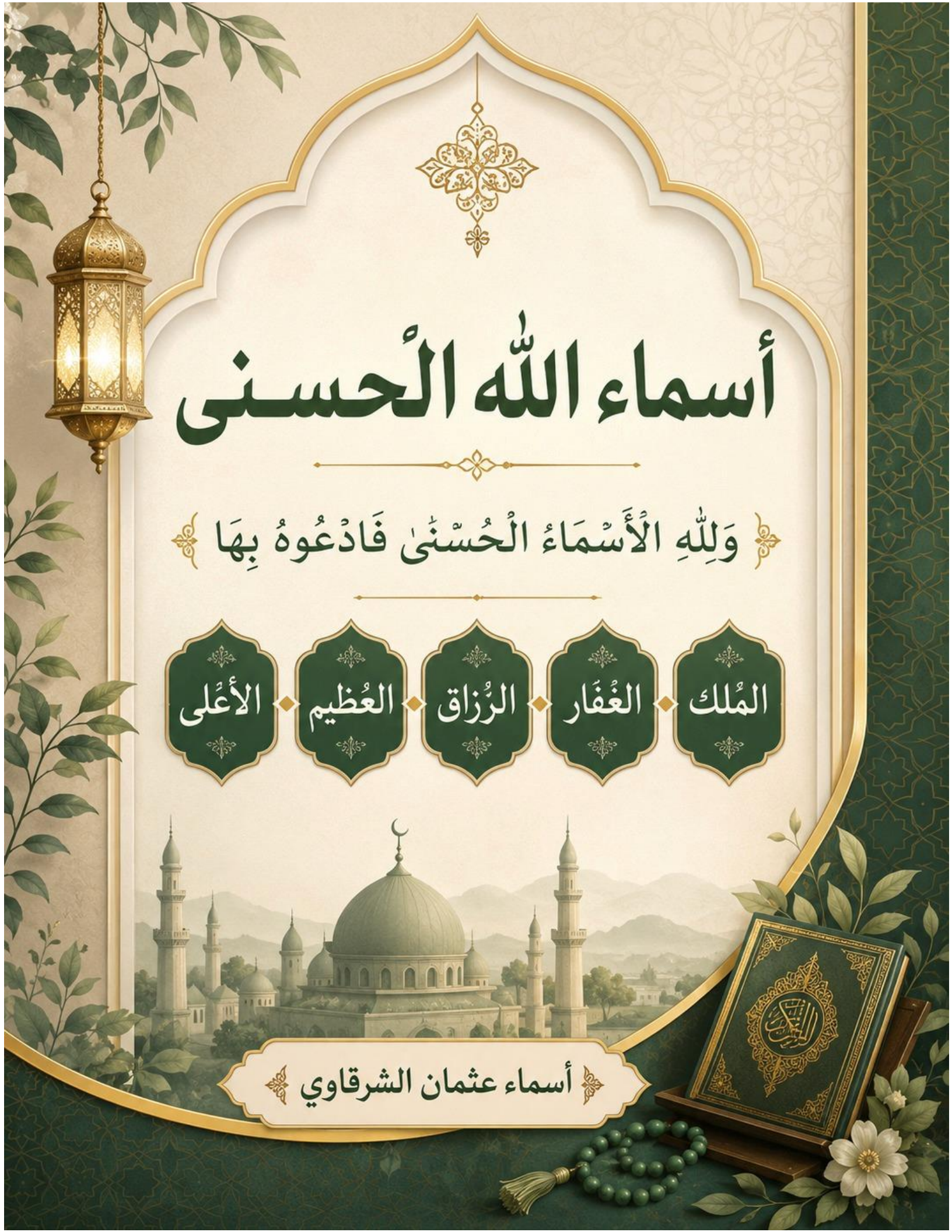

أسماء عثمان الشرقاوي

أسماء الله الحسنى

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا

الملك . الغفار . الرزاق . العظيم .

الأعلى

أسماء عثمان الشرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الملك الغفار الرزاق العظيم الأعلى.. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنا حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَينا مِنْ أَنْفُسِنا وَأَهْلِينا وأموالِنا وأهوائنا، اللهم املأ قلوبنا بنور محبتك ونور متابعة رسولك الأمين عليه أفضلُ الصلاةِ وله أتم التسليم.

الحمد لله الذي تجلى لعباده بأسمائه، وتعرف إليهم بصفاته، ليجدوا في رحابه أمان الخائفين، ورزق المحتاجين، وعز المستضعفين. والصلاة والسلام على مَن كان خلقه القرآن، وأعرف الخلق بالرحمن، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن أسمى غايات الوجود، وأشرف العلوم قدراً، هو العلم بالله سبحانه؛ فبدون هذه المعرفة تصبح ملايين الموضوعات التي يدرسها الإنسان في حياته بلا روح، ولا تمهد له طريقاً حقيقياً للسعادة، إننا لا نحب الأشخاص لمجرد أسمائهم، بل لصفاتهم، ولله المثل الأعلى؛ فكلما ازددت معرفة بأسمائه الحسنى، ازددت حباً له، وإقبالاً عليه، وخشية منه.

يأتي هذا الكتاب، (أسماء الله الحسنى) لا ليقف عند حدود الشرح اللغوي الجاف، بل ليكون دليلاً عملياً للمؤمن في كيفية استحضار هذه الأسماء في أدق تفاصيل حياته .إن معرفة أسماء الله هي أساس العقيدة الصحيحة، وهي التي تُحول الإيمان من مجرد "وراثة" إلى "عمل شخصي "نابع من يقين قلبي يتجلى في كل كلمة وحركة وفعل.

لقد سعيتُ في هذه الصفحات إلى استعراض خمسة من أسماء الجلال والجمال **:الملك، الغفار، الرزاق، العظيم، الأعلى،** وحرصتُ على تبيان أثر هذه الأسماء في "فهم الأقدار" وإصلاح العلاقات الإنسانية والزوجية، وكيف أن عدم اليقين ببعض هذه الأسماء -كالعليم والحكيم- كان هو المدخل الذي أورد إبليس المهالك رغم إيمانه بوجود الله.

إن الهدف الأسمى من هذا العمل هو أن نتخلق بآثار هذه الأسماء، لنحيا "الحياة الطيبة" التي وعد الله بها عباده .فمن عرف أن ربه هو **"الملك"** سارع إليه يسأله ويرجوه، ومن أيقن أنه **"الغفار"** سارع بالتوبة عند كل ذنب وهو مطمئن لمغفرته، ومن عرف أن ربه هو **"الرزاق "**سعى في رزقه وهو هادئ القلب، ومن أدرك أنه **"العظيم "**صغرت الدنيا في عينيه، ومن استشعر أنه **"الأعلى "**لم يبحث عن بديل يرجوه أو يخشاه.

نسأل الله أن يجعل هذا العلم حجة لنا لا علينا، وأن يرزقنا حلاوة الأنس به، وصدق التوكل عليه.

أسماء عثمان الشرقاوي

القاهرة ـ ١ / ٦ / ٢٠٢٦

الفصل الأول

أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا

إن معرفة أسماء الله الحسنى تمهيد ضروري لتطبيق ما يحبه الله تعالى منا وهو أن ندعوه بها، فيجب أن نعرف قيمة كل اسم وكيف نطبقه في حياتنا، لنعرف كيف ومتى ندعو الملك، وكيف ومتى ندعو الرزاق، وكيف ومتى ندعو الغفار، وكيف ومتى ندعو العظيم، وكيف ومتى ندعو الأعلى.

إن أسماءه تعني صفاته الحقة التي بها يتعامل معنا، لذلك فإن معرفتها لا تعني حفظها، إنما تعني فهم الاسم وكيف بين سبحانه معناه بآيات القرآن الكريم، وأثره علينا وكيف نستقبله ونتعامل به، وكيف نتخلق بما هو يليق بنا.

لذلك سوف نستعرض بعضاً من أهمية معرفة أسمائه الحسنى جل وعلا.

أولاً: هي أساس العقيدة الصحيحة

معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته من أسس العقيدة ومن تمام الإيمان به تعالى، فلابد من اليقين بتفرده سبحانه بصفات الكمال، والإقرار له بصفات العظمة والجلال، هذا اليقين هو الذي يُنتج توحيدَه وإفرادَه بالعبادة. وهذا اليقين لا يُخلق معنا ولا نشعر به لأننا وُلدنا في أسره مسلمة، هذا اليقين يتطلب تعلم ودراسة وتدريب ويحتاج وقت ومجهود ومداومة.

يقول رب العالمين: **(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...)** البقرة ٢٨٥.

الجملة المهمة لنا هنا "وَالْمُؤْمِنُونَ "**كُلٌّ**" آمَنَ بِاللَّهِ" كل مؤمن على حده مطالب أن يعمل بصورة شخصية لتحصيل الإيمان، فالإسلام وراثي، لكن الإيمان عمل شخصي جداً لا يتُوارث لكنه نتاج تعلم الشخص الفردي.

إن صحة العقيدة تعني صحة الدين، والعكس صحيح، فالعقيدة المشوشة التي تحمل الشكوك والشبهات، تعني دين مشوه ملئ بالتصرفات التي لا تستقيم مع أوامر الله تعالى ونواهيه، ولا تتفق مع ما يحبه ويرضاه.

وبالمعجم: العَقِيدَةُ هى الحُكْمُ الذي لا يُقْبَلُ الشكُّ فيه لدى مُعتقِدِه، وهي ما عُقد عليه القلبُ واطمأن إليه.

يعنى هى الأحكام والقضايا والمفاهيم والأفكار المستقرة بداخل القلب، والتي تظهر في كل كلمة وكل حركة وكل فعل لنا، فالعقيدة ليست هى ما نردده بألسنتنا، لكنها ما يظهر في التصرفات والقرارات التي نأخذها في حياتنا اليومية، عند طلب الرزق، وعند المعاملات وعند الإنفاق، وعند الحب والكره، وعند العطاء والمنع...

سنجد أنه مع كل علم باسم من أسماء الله تعالى، اليقين به سيعين المؤمن على بناء لبنة ناصعة البياض وكاملة السلامة في عقيدته وفى توجيه تصرفاته نحو الوجهة الصحيحة التي يرضاها الله تعالى ويحبها، فأي شيء يستقر بالقلب لابد أن يعبر عن وجوده بعمل، فالعمل هو النتاج الطبيعي الذي يُظهره اليقين، فلو اتخذ المسلم كافة قرارات حياته ومعاملاته وأفعاله طبقاً لما يعلمه عن ربه من صفات، فقد أتى بكل أركان الإيمان وتخلق بكل صفات المؤمنين.

ثانياً: هى الطريق لحب الله تعالى الذي يدفعنا إلى طاعته

من المعروف أنه لا يمكن أن نحب من لا نعرف، نحن نعتقد أننا نحب الله تعالى، فقد ولدنا ونشأنا في بيوت مسلمة، ونسمع ممن حولنا من يقول "احنا بنحب ربنا" فقلنا مثلهم، لكن هذا التقليد ليس طريق المحبة الحقة لله تعالى، إنما طريق محبته العلم به، وتدريب النفس على تذكر أسمائه وصفاته، ومتابعة النفس على رؤية صفات الله تعالى في كل حركة من حركات حياتنا.

إن الحب الذي لا يكون قائماً على معرفة حقة، هو حب سطحي لا يؤدى إلى عمل حقيقي.

لو أخذنا مثال من حياتنا سنجد أنه لو قال لك شخص أنا أحب سعيداً، ستقول له هذا شأنك لا علاقة لي بهذا الحب، فيقول لك أنت أيضاً لابد أن تحبه، تقول له كيف أحبه وأنا لا أعرف منه إلا الاسم!!

فماذا لو عرفت أن سعيداً شخصية عالمة راقية جميلة كريمة، يساعد الناس كلهم ويسعى في مصالحهم، وأنت قصدته في عدة خدمات وقدمها لك على أحسن وجه وأكرمك وضيفك، وعزمك وأسرتك على بيته ورحب بوالديك واخواتك أحسن ترحيب، وتكفل بسفر والديك للحج، وساعد في اختيار أفضل زوج لأختك، ووفر لك فرصة عمل رائعة.... ووو... ما هى مشاعرك الآن ناحيته؟ طبعاً الطبيعي أنه مع معرفتك لكل تصرف راق يتصرفه وكل خُلق عالي يتصف يه، سوف تحبه وتثق فيه وتظن فيه كل الخير وستسأله لحاجتك... وهكذا...

ولله المثل الأعلى، فمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله، تؤدى إلى محبته وتعظيمه وطاعته. إن حب الله تعالى هو الذي يؤدى لأن ترفض مليار دولار إذا كانت ستأتي من كذبه، مادام حبيبك يبغض الكذب. حب الله تعالى هو الذي يؤدى لأن تعمل عملاً لن يطلع عليه غيره، يكلفك وقتاً ومجهوداً ومالاً، لكنك سعيد أن الله وحده يراك فهو يكفيك ولا تريد غيره... وهكذا.. آلاف التصرفات الصغيرة والكبيرة التي يظهر فيها الحب الحقيقي الذي يؤدي لعمل حقيقي، لهذا لابد أن نتعرف عليه سبحانه، لأن من يعرفه من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله، يحبه الحب الذي يعني حب كل ما يرضاه والبعد عما لا يرضاه، ويعني الشوق للقائه، وحب سماع كلامه وتدبره، وحب من يحبه، والرغبة في الاستزادة من معرفته، وتصديقه وحسن الظن به، والاعتماد عليه والثقة المطلقة به، والشعور بالفخر والامتنان لمعرفته، والشعور بالسعادة عند الحديث عنه.

هذا هو الحب الذي يعين صاحبه على طاعة ربه بيسر وسهولة وتفان.. يقول د. النابلسي: "الحقيقة الصارخة أنك إذا عرفت الآمر وهو الله تعالى، ثم عرفت أمره ونهيه، تفانيت في طاعته. بينما إذا عرفت أمره ونهيه، ولم تتعرف إليه سبحانه، تفننت في التفلت من أمره"

ثالثاً: العمل من خلال هذه المعرفة لأن يكون لنا نصيب يليق بنا من كل اسم

يقول تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران.. في تفسير هذه الآية الكريمة يقول د. النابلسي: "الحديث موجه لرسول الله عليه الصلاة والسلام يقول له رب العالمين: بسبب رحمة استقرت بقلبك عن طريق اتصالك بنا لنت لهم، فلما كنت ليناً لهم التفوا حولك، فينبغي أن نتعرف إلى الله، وأن نشتق منه كمالاً، إذا أيقنت باسم الله تعالى الرحيم واتصلت بالرحيم، لا بد من أن تستقر في قلبك الرحمة."

وهكذا مع كل يقين باسم من أسماء الله تعالى والعمل به، سنتصف منه بما يليق بنا كعبادٍ للرحمن، فنكون بذلك أهلاً لعبادته والقيام بمنهجه وشرعه، ونتصف بما يحبه ويرضاه.

رابعاً: العلم بأسماء الله الحسني يعين على فهم آيات القرآن الكريم

فلو تدبرنا في نهاية الآيات التي يأتي فيها ذكر صفة أو اثنين من صفات الله تعالى وأسمائه، سنجد أنها تعيننا على فهم ما جاء بالآية وفهم الهدف منها وتعين على اتباعها، فصفات الله تعالى التي تأتي في نهاية الآيات ترتبط بسياقها ومعناها وتيسر تفسيرها، مثل الآية الكريمة التي ذكرها ربنا على لسان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: **"إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾"** المائدة. هذه الآية الكريمة أتت بعد سؤال الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام عن المعصية الكبيرة التي وقع فيها قومه، يقول تعالى: **"وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ.. "** المائدة. الكلام هنا عن خطيئة الكفر واتخاذ آلهة من دون الله تعالى كذباً وافتراءً، لكن لفهم سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بما يطلبه من رب العالمين في هذا الموقف لم يقل: وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ (الغفور الرحيم)، لكنه قال فإنك أنت الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.. لماذا.. لأن الخطأ هنا والمعصية شنيعة وقد مات أصحابها وانقطعت أعمالهُم، فالمغفرة في هذا الموقف تحتاج لصفة العزيز الحكيم، فهو يقول أنت سبحانك عزيز تفعل ما تريد مهما كبرت المعصية ولن يسألك أحد أو يعقب على حكمك أحد، وأنت سبحانك حكيم تضع الأمور في نصابها التي تراها بعلمك الكامل، هذه هي الصفات التي بها يفعل الله تعالى ما يريد بلا حساب أو مراجعة، ويغفر مهما كبرت المعاصي.

وهكذا مع التدبر لصفات الله تعالى في نهاية كل آية، يتضح لنا من خلالها المعنى الإجمالي الهام الذي ذُكر في الآيات الكريمة.

خامساً: اليقين بصفات الله تعالى العليا وأسمائه الحسنى يُحيينا أطيب حياة

إن معرفتنا ويقينا أنه عليم حكيم، يُشعرنا بالرضا والسكينة تجاه أقداره ويجعلنا نستقبلها أحسن استقبال. ويقيننا أنه سميع بصير شكور سريع الحساب، يشعرنا بحلاوة العمل الخالص لوجهه الكريم، ويمنعنا من الإصرار على المعاصي وسوء الأخلاق، ويقيننا أنه قريب مجيب قوى قادر فعال لما يريد، يشعرنا بالسند والحماية، ويقيننا أنه لطيف رحيم ودود يشعرنا بالسعادة، ويقيننا أنه وحده

الرزاق، يشعرنا بالاطمئنان والأمان، ويقيننا أنه الحفيظ الوكيل، يلغى من حياتنا القلق على أولادنا والخوف من الحاضر والمستقبل ويملأها بالأمن... وهكذا.. فكل أسماء الله تعالى وصفاته تضفي على حياتِنا أجمل المشاعر وتحيينا أطيب حياة.

كذلك العلم بصفاته سبحانه والحياة بها هو الحل الوحيد والحقيقي لكل المشاكل وأهمها على الساحة الآن المشاكل الزوجية، فاليقين بأنه سبحانه عليم سميع بصير خبير، وأنه حسيب عدل، وأنه شكور عفو غفور، وأنه قريب مجيب الدعاء، يجعل الحياة بين الزوجين في أرقى وأجمل درجاتها، كيف يحدث هذا؟

لو المشكلة بين الزوجين: طرف يرى أنه مظلوم والآخر ظالم، ستكون المعاملة الآن مع الطرف المظلوم لأنه الطرف الذي يبحث عن حل لمشكلته ولألمه ولحزنه، ولأن الظالم لن يسمع ولن يرى.

فيقينه بأن الله تعالى سميع بصير شكور سيدفعه للإحسان في معاملاته للطرف الثاني، حتى مع سوء خلقه، انتظاراً للأجر والثواب من الله وحده.

ويقينه أنه قريب مجيب الدعاء سيوجهه للدعاء بالهدى للطرف الآخر وهو موقن بالإجابة، فيهدأ قلبه، وينتظر الفرج من عنده.

ويقينه أن الله تعالى هو المحصي العليم العدل الحسيب، يقلل عنده الألم نتيجة شعوره بعدم التقدير لما بذله وقدمه، لأنه يكفيه أن الله تعالى يحصى كل أفعاله وسيجازيه عليها.

ويقينه أن الله تعالى هو العفو الغفور سيمنحه القدرة على العفو والمغفرة للطرف الآخر ويمحو من قلبه الحزن والألم.... وهكذا

ثم لو فشلت كل محاولات المظلوم سواء كانت زوجة أو زوج، مع الطرف الآخر ومع نفسه، ووجد أنه بذل كل استطاعته ولم يعد يستطيع الاستمرار، لكنه يخشى فقد السند، ويخشى الفقر والحرمان، فإن يقينه بكلام الله تعالى الواسع الحكيم، بأنه وعد من يتفرقا بالمعروف أن يغنيهم من فضله، فمن يتفرق بالمعروف يملأ قلبه ونفسه اطمئناناً وسكينةً وتوكلاً على الله، يقول تعالى: **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾** النساء.

ولزيادة اطمئنان من يلجأ لله تعالى فإنه يخبره بأن له سبحانه ملك السماوات والأرض ويعيدها على سمعه بالآية ثلاث مرات ليوقن بقدرته على رزقه والتوسعة عليه، إذا لجأ إليه بالعمل بالمعروف عند الفراق.

إن الحياة الزوجية هى من أكبر الاختبارات التي يمر به الإنسان، نحن في حاجة لأن نتعامل فيها بكل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لنجتاز هذا الاختبار بنجاح، فإذا تعامل الزوجان بهذا اليقين بالله تعالى أو حتى تعامل بها طرف واحد، فستختفى من حياتهم الكثير من المشاكل والآلام والمرارات التي نراها.

وأيضاً في حال السعادة والوفاق بين الزوجين، فإن التعامل من خلال أسماء الله تعالى وصفاته تهبهم السعادة، فاليقين بالرحيم والاتصال بالرحيم يرزقهما الرحمة التي يرحم بها الزوجان بعضهم بعضاً، واليقين بأنه عليم سميع بصير يكفيهم لكي يقوم كل طرف بالعمل الذي يسعد الطرف الآخر ويصلح العلاقة بينهم، حتى لو لم يعلمها الطرف الآخر ويشكره عليها، فيكفي الموقن أن الله تعالى عليم حسيب شكور.. وهكذا.. تصرفات كثيرة جداً وجميلة جداً يقوم بها الزوجان اللذان يوقنان بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، فنجد العلاقة ترقى لأعلى درجاتها من الحب والرحمة والمودة.

إن معرفة الله تعالى علمٌ مسعد، علمٌ يضفي على حياتنا الزوجية الراحة، والسكينة، والمودة والرحمة.

سادساً: تجربة ابليس مع أسماء الله تعالى وصفاته.

هذا السبب جعلته آخر سبب نذكره لأنه سبب صادم ومخيف، سنتكلم فيه عن الشيطان إبليس، سنستعرض موقفه من رب العالمين ومن أوامره، موقفه سيبين لنا أمراً في غاية الخطورة والأهمية، يقول تعالى: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾** ص.

سنجد من خلال هذه الآيات الكريمة أن إبليس يؤمن إيماناً يقينياً بوجود الله تعالى.

موقنٌ بوجود الله تعالى، تكلم معه سبحانه، يعني موقن بوجوده يقيناً كاملاً يعلو على يقين كل منا ونحن لم نتكلم معه سبحانه.

موقنٌ بالله تعالى رباً معبوداً، فعندما تكلم معه سبحانه "قَالَ رَبِّ".

موقنٌ بالله تعالى مجيباً للدعاء، وموقنٌ بيوم الحساب، وموقنٌ بأنه فعّال لما يريد، فقد دعاه أن يرزقه الحياة الممتدة إلى يوم القيامة " فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ "، واستجاب له رب العالمين.

موقن باسم الله تعالى (العزيز)، فقد أقسم بعزته " قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" أي أنه موقن بأنه العزيز الذي لا يُغلب والذي لا يعجزه شيء، والمنيع الذي لا يُنال ولا يُغالب.

موقنٌ بأن العبادة الحقة لله تعالى لا تكون إلا بالإخلاص، اخلاص العمل له سبحانه بلا اشراك لأهواء النفس ومصالحها ورغباتها، " قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ".

كل هذا اليقين، لم يمنعه من معصية الله تعالى والإصرار عليها، وإلى أن يصفه الله تعالى بالكفر ويكون مصيره النار خالداً فيها. فكيف حدث هذا!!! ولماذا؟؟

إنه عدم اليقين بكل أسماء الله تعالى وصفاته، إنه هنا آمن بصفات الله تعالى الرب، المعبود، الموجود، المجيب الدعاء، العزيز... لكنه لم يوقن بأسمائه تعالى (العليم الحكيم)، فالعليم هو المحيط علماً بكل شيء، ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، فاتحته وعاقبته، وهو العالم والكاشف بكل شيء، وهو الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية. والحكيم هو الذي له كمال العلم وإحسان الفعل وإتقانه، وهو الذي يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم، وعلمه أزلي دائم لا يتصور زواله ولا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة، فهو الحكيم الحق، وهو الذي يكون مصيباً في التقدير، ومحسناً في التدبير، العليم علماً لا علاقة له بعلمنا لا في صورته ولا في حقيقته.

ما الذي يجب أن يترتب على الإيمان والتصديق بهذه الصفات لله تعالى؟، يترتب عليها الطاعة القائمة على اليقين بعلمه وحكمته، فهو يعلم العلم الكامل الذي لا نحوزه، فيقدر التقدير الحكيم، الكامل في صحته، وسلامته، ووقته، وقدره.

ثم ما الذي يترتب على الشك في هذه الصفات؟ يترتب عليها الرفض لأوامره ونواهيه، فالشاك في أنه سبحانه العليم الحكيم، يرى أنه لا يعلم العلم الكافي لأن يقرر هذا الحكم أو ذلك، وأنه لا يملك الحكمة الكافية لأن يضع الأمور حيث يجب أن توضع، فمن يملك العلم والحكمة، إنه هو صاحب الشك في صفات الله تعالى، فيترك أحكام الله تعالى ويتخذ القرارات والأحكام بهواه فيهلك.

نعود لفعل إبليس، إنه اعتقد أن الله تعالى لم يُصب عندما طلب منه أن يسجد لمن اعتقد أنه أقل منه يقول تعالى: **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾**. اعتقد أنه أعلم من الله تعالى بمن هو الأفضل والأحسن، وأنه أقدر على ترتيب أوضاع الخلق، ومعرفة من يستحق ومن لا يستحق، وأنه هو الأعلى الذي يستحق وغيره لا يستحقون، لذلك رفض أمر الله تعالى. يقول تعالى: **"قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" ﴿٣٣﴾** الحجر. " **لَمْ أَكُن** " يعنى منتهى الكبر أنه لا يجب ولا يكون أبداً أن يقول الله تعالى له اسجد لهذا البشر، إنه بهذا يقول لله هذا أمر غير وارد في حقي أصلاً، نعوذ بالله من هذا الكبر وهذا التألى على رب العالمين.

لهذا قال له رب العالمين: **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾**. ولعنة الله تعالى، وانتقل من خانة الإيمان إلى خانة الكفر. يقول تعالى: **"إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾"** ص. يا الله وصفه الله تعالى بأنه من الكافرين رغم أنه مؤمن إيماناً يقينياً بوجود الله وبقدرته على إجابة الدعاء وبيوم الحساب وبعزته وقدرته. لكن نقله عدم يقينه ورفضه لأسماء الله تعالى **العليم الحكيم** من خانة كبار العُباد إلى خانة الكفرة الملعونين. يا الله يا الله... شيء مخيف جداً ويستدعي منا انتباهاً شديداً لحقيقة إيماننا بكل أسماء الله تعالى وصفاته.

بينما نرى بوضوح أن ما أعان الملائكة على العودة للتسليم بأمر الله تعالى في خلق سيدنا آدم وجعله خليفة في الأرض رغم تساؤلاتهم، إيمانهم بأنه سبحانه العليم الحكيم، يقول تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾** البقرة.

وفي مجتمعاتنا "الإسلامية" الكثير من الأمثلة التي نرى فيها الإيمان ببعض صفات الله والكفر بالبعض الآخر، إن هذا ما يفعله المسلم عندما يؤمن بوجود الله تعالى، ويدعوه ويقسم بعزته ويعبده، فيصلى ويصوم ويزكي ويحج ويعتمر.. ووو... لكنه لا يؤمن به علياً حكيماً... فنراه يحقد على هذا، ويكره هذا... ويمنع حق هذا.. لأنه يرى أنه الأحق بعطاء الله تعالى، وأنه ليس من الصواب إعطاء هذا أو ذاك..

وهناك مثل خطير جداً موجود في كثير من المجتمعات المسلمة للأسف الشديد، رجال العائلة الذين يرفضون اعطاء المرأة نصيبها من الميراث، يرون أن إعطاءها من مال أبيهم حُكمٌ من الله غير صائب، وأنهم الأحق بهذا الميراث لأنهم أفضل من المرأة التي ستورث مال العائلة لزوجها وأولادها الذين هم ليسوا من العائلة الملكية، وبالتالي فإن أمر الله تعالى بإعطاء المرأة نصيبها من الميراث ليس بأمرٍ حكيم، لهذا لن ننفذه، هؤلاء لم يزيدوا عن كونهم شياطين ولو صلوا وصاموا وحجوا واعتمروا وتصدقوا وادعوا الإيمان والتقوى. لقد آمنوا بالله تعالى معبوداً، لكنهم لم يؤمنوا به علياً حكيماً في كل أوامره، لذلك تهربوا منها ورفضوا تحقيقها، فهؤلاء هم شياطين الإنس، لذلك قال فيهم سبحانه بعد آيات نظام المواريث الذى أقره بسورة النساء: "**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾** " الحديث في هذه الآيات الكريمة موجه للمسلمين، فهم بالطبع المنوط بهم تنفيذ أحكام الميراث التي أنزلها رب العالمين في سورة النساء، لذلك احتار العلماء في تفسير آية الخلود في النار الموجه للمسلمين، وقالوا كيف سيخلد في النار مسلم ؟؟ الإجابة: لأن من يرفض تنفيذ أحكام الله تعالى فيما أمر به من أحكام الميراث، إيمانه إيمان شيطاني، إيمانٌ يخلده في النار، إنه آمن بالله رباً معبوداً، وكفر به علياً حكيماً، إن معصيته لله ورسوله في تنفيذ آيات المواريث، تماماً مثل معصية الشيطان التي حولته من عابد إلى كافر مخلد في النار، لماذا؟ لأن معصية هذا المسلم هى الكُفر ببعض أسمائه وصفاته، لقد امتنع عن تحقيق ما فرضه الله تعالى من فروض في الميراث، لسبب وحيد، لأنه يرى أنها ليست عن علم وحكمة، رفضٌ نابعٌ من الكبر والاعتقاد بأنه هو الأعلم والأحكم، والأحق بإصدار الأحكام كما فعل الشيطان فطرده الله تعالى من رحمته، يقول تعالى: **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾** الأعراف.

ومثال آخر للذين يؤمنون بالله تعالى رباً ومعبوداً ومجيباً للدعاء.. لكنهم لا يؤمنون بأسمائه وصفاته العليم الخبير السميع البصير القريب الحسيب فتراهم يطيعون الله على الملأ، ويعصونه في الخفاء، هؤلاء شياطين الإنس لأن إيمانهم إيمان شيطاني، إيمان ببعض

أسماء الله تعالى وصفاته، ورفض عملي وليس قولي ببعض صفاته الأخرى، يقول تعالى: **(وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾)** النساء.

أما المؤمن صاحب العقيدة الصحيحة في الإيمان واليقين بكل أسماء الله تعالى وصفاته، لكنه ينسى ويخطئ ويعصي ككل بني آدم، فإنه يسارع بالتوبة والندم والرجوع لله تعالى. بينما مَن عقيدته فاسدة، بمعنى الإيمان ببعض أسماء الله والكفر أو عدم اليقين العملي ببعضها، فإنه عند المعصية لا يتوب ولا يستغفر لأنه يرى أنه على حق ولم يذنب أصلاً، فإنه يلاقي الله تعالى بهذا الإيمان الشيطاني، فيجعل عمله هباءً منثورا، لقد كان له عمل، لكنه نابع من إيمان شيطاني، فمصيره مع الشيطان والعياذ بالله.

من هنا كانت الأهمية القصوى لمعرفة الله تعالى والإيمان واليقين بكل أسمائه وصفاته.. واتخاذ مواقف الحياة بناءً على هذا الإيمان.

إذاً النقاط الست التي ذكرناها في أهمية معرفة ودراسة والحياة بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا..

١) أنها أساسٌ للعقيدة الصحيحة.

٢) أنها طريقٌ لحب الله تعالى وهو الحب الذي يدفعنا إلى طاعته.

٣) أنها طريقٌ للتخلق بصفات الله تعالى كما يحب لنا ويرضى.

٤) أنها طريقٌ إلى فهم آيات القرآن الكريم.

٥) أنها طريقٌ إلى الحياة الطيبة.

٦) أنها تحفظنا من التشبه بالشيطان فتحفظنا من الكفر بعد الإيمان.

لهذا نجد العلماء يطلقون على الصالحين (العارف بالله) فلان الفلاني، الذي جعله صالحاً أنه عارفٌ بالله تعالى، ربنا يرزقنا جميعاً معرفته وحبه وطاعته وخشيته وحسن التوكل عليه.. اللهم آميين..

الفصل الثاني

الملك

إنَّ معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي بابٌ عظيمٌ لفهم حقيقة الإيمان، وإصلاح القلوب، وتوجيه السلوك في الحياة. فكل اسم من أسمائه سبحانه يحمل معاني الكمال، ويمنح المؤمن نورًا يهديه في طريقه، ويقينًا يطمئن به قلبه. ومن بين هذه الأسماء العظيمة يبرز اسم الله **الملك**، الذي يكشف للإنسان حقيقة هذا الكون، ويصحح نظرته لنفسه ولما يملك من حوله.

فعندما يدرك الإنسان أن الله هو الملك الحق، مالك كل شيء، والمتصرف في كل أمر، تتغير موازينه، ويعيد ترتيب أولوياته، فلا يتعلق إلا بالله، ولا يخضع إلا له، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه. ومن هنا تأتي أهمية الوقوف مع هذا الاسم العظيم، لفهم معناه، وتأمل دلالاته في كتاب الله، ثم تحويل هذا الفهم إلى إيمانٍ حيٍّ ينعكس على واقعنا وسلوكنا.

وسوف نتناول اسم الله **الملك** من جوانبه المختلفة، لنقترب من معناه، ونعيش أثره في قلوبنا وحياتنا.

سنبدأ بوضع خطوات منظمة متتابعة في شرح كل اسم، وفى عرض اسم الله (الملك)، سنقسم الشرح على عدة نقاط.

أولاً: معنى اسم الله الملك في اللغة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الملك وما يتلازم معه.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الملك ونطبقه في حياتنا.

رابعاً: التخلق باسم الله الملك.

أولاً: معنى اسم الله الملك في اللغة

المَلِكُ: هو صاحب الأمر والسّلطة على أُمّة أو بلاد، شخص يحكم أو يتولّى الملك في منطقة بحكم الوراثة ولمدى الحياة. والملك يملك مِلكاً، والمِلْكُ: هو اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلق التصرف فيه وحاجزاً من تصرف غيره فيه، هذا على مستوى البشر.

لو جعلنا المعنى مختصاً بالله تعالى سنقول: المَلِكُ هو صاحب الأمر والسلطة على الكون كله، فهو يتولى المُلك على كل مناطق الكون التي نعرفها والتي لا نعرفها منذ الأزل وحتى ما لا نعرفه من الأبد، والملك يملك مِلكاً، ومُلكُه هذا مطلق التصرف فيه وحاجزٌ من تصرف غيره فيه.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الملك وما يتلازم معه.

الآية الأولى:

يقول تعالى: **"قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"** ﴿٢٦﴾ آل عمران.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ: الله تعالى يملك الملك، مالك الملك: أي شيء يُملَّك فإن مالكه الله تعالى، فهو سبحانه: مالك مُمَلِّك. هو وحده من يملك أن يُملك، فلا يملك حقيقةً إلا الله، وأيُّ وصف للملكية لغير الله فهو وصف على سبيل المجاز فقط، إذاً المَلك على وجه الحقيقة والمالك على وجه الحقيقة والمُملك على وجه الحقيقة هو الله تعالى، وكل من يصف نفسه أنه مَلَكَ فهو وما يملك ملك لله تعالى... **تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ...**

سنتكلم عن **الْمُلْك** الذي إذا آتاه الله تعالى من يشاء فإنه يشعر بالعزة، و**الْمُلْك** الذي إذا نزعه ممن يشاء يشعر بالذلة، فالمُلك هو كل ما يُملكه الله تعالى للإنسان وما يُمكنه منه، فالإنسان مُمَكَّنٌ من جسده ومن حواسه ومن صحته، مُمَكَّنٌ ممن يعول، مُمَكَّنٌ من ماله ووظيفته وسلطانه.. وهكذا.. كل هذا **الْمُلْك** وهذا التمكين، يشعر معه الإنسان بالعزة.

الله تعالى مالك الملك، هو من يمكنه وهو من يُشعره بالعزة بهذا المُلك، وهو سبحانه أيضاً مالك الملك، ينزع عنه هذا التمكين وهذا المُلك، فلما ينزعه يشعر الإنسان بالذلة.

إذاً مما يتناسب ويوضح معنى وحقيقة أنه سبحانه هو الملك، أنه هو وحده من يؤتى المُلك ومن ينزعه، وهذا المُلك يتدرج من مُلك البلاد حتى كل ما يملكه أبسط انسان.

تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ.. مَن تَشَاءُ هنا ما المقصود بها؟ هل المقصود بها مشيئة عشوائية يعطى بها رب العالمين أى إنسان أى شيء بلا نظام ولا قانون؟ مثل ذلك المثل السيئ الذي يقول: "يدي الحلق للي بلا ودان" هؤلاء لا يرون أي حكمة من أن الله تعالى يعطى فلان حلق "رزق ما"، بينما هو أصلاً لا يملك أذنين "لا يستحق"، فهم لا يرون أي حكمة ولا منطق من إعطائه هذا الملك.

إن هذا المنطق ينم عن الجهل الكامل برب العالمين سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه، فمشية الله وأقداره وإرادته عليمة حكيمة يعطى بقدرٍ ما يشاء لمن يشاء وقتما يشاء، وأقداره عن علم كامل وحكمة مطلقة ومُقدره بدقة وإحكام وتحمل الخير لكل البشر.

فلما يخبرنا رب العالمين أنه يؤتي الملك من يشاء، يجب أن نعلم ونوقن أنه سبحانه يؤتيها عن علم كامل وحكمة مطلقة، فهي في مكانها المناسب حيث قدرها سبحانه لتقوم بمهمة محددة، فالملك والعطاء لا يتم بصورة عشوائية كما يتصور البعض.

لهذا ختم ربنا الآية الكريمة بأنه بيده الخير... **بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ..** فسبحانه مشيئته هى الخير لكل البشر، خير الدنيا والآخرة، فكل من أعطاه المُلك مع العزة، أو نزعه مع الذل، هى أقدار بالخير إذا أحسن الإنسان استقبالها، مثلما أوضحنا بكتاب "فهم

الأقدار"، فقد مَلّكَ الله تعالى سيدنا سليمان الملك وأعزه، فأحسن استقبال الملك، فكان خيراً له في الدنيا والآخرة، ومَلّك قارون وأعزه، فأساء استقبال الملك، فنزعه منه وخسف به الأرض، فكان عبرة لكل من رأى هذه الآية. ونزع مُلك الحديقة من أصحاب الجنة، فكان خيراً لهم لأنهم تابوا وأنابوا، ونزع الملك عن سيدنا يوسف لما قدر له العبودية في بيت العزيز، وقدر له دخول السجن مع ما يصاحب السجن من ذل، فأحسن سيدنا يوسف استقبال قدر الله تعالى، فكان خيراً له. ثم آتاه الملك وأعزه، فأحسن استقباله فكان خيراً له، وهكذا.. كل أقدار الله تعالى الملك المُلك الذي يملك وحده، يحقق مشيئته عندما يؤتى الملك وعندما ينزعه، عندما يُعز أو يذل، كلها أقدارٌ بالخير إذا أحسن الإنسان استقبالها، وهو قادر على تحقيق مشيئته، فهو على كل ما يشاء قدير.

هذا هو الله تعالى الملك، مالك الملك سبحانه، معرفتنا بهذا الاسم ويقيننا به، يعني أن نعلم أن دورنا في مثل هذه الأقدار، حُسن استقبالها، عندما يُملكنا وعندما يَنزع منا الملك، وأن نُسلم له بأنه على كل شيء قدير، فتوجهنا يكون له، وطلبنا يكون منه، وثقتنا تكون فيه.

الآية الثانية:

يقول تعالى: **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾** الإسراء.

من لوازم اسم الله تعالى الملك ومن مقوماته، أنه الملك وحده، لا شريك له ينازعه ملكه ولا يراجعه في أقداره ولا يضع معه قوانينه، هو المَلك.. له المُلك كله وله السلطة الكاملة وله السيطرة وحده، هو وحده من يصدر القوانين ومن يأمر بها ومن يتابع تنفيذها ومن يحاسب عليها، فليس له ولدٌ ينحاز إليه أو يشركه في حكمه أو يورثه الملك، لأنه الدائم الباقي، وليس له ولى من الذل، يعنى ليس عنده من يلجأ إليه في حال الذل، ليس له وليٌ يلجأ إليه ليعزه؛ لأنه سبحانه العزيز المعِزّ القائم بذاته، ولا حاجة له إلى أحد. فهو الملك وحده يملك كل مقومات الملك دون أن يشاركه أحد، فلله الحمد.

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا: تبدأ الآية الكريمة بالدعوة لحمده تعالى، والحمد لله يكون على نعمة من نعمه العظيمة التي ننعم بوجودها في حياتنا، نحمده على أنه هو الملك وحده لا ولد ولا شريك، فالولد كما نعلم يكون لاستمرار الذكر، والله تعالى غني عن ذلك، فذكره قائم بوجوده، فهو الأول والآخر، والولد يشبه والده، ولا يجب أن يشبهه أحد سبحانه، والولد يكون للاحتياج، وهو الغني سبحانه، والولد قد يكون نقطة ضعف لأبيه، ولا يجوز ذلك في حقه سبحانه، فهو القوي العزيز.

وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ: وليس له شريك، فالشريك قد يخالفه، وهو له الأمر وحده، والشريك قد ينازعه ملكه، وهو له الملك وحده، والشريك قد يتحكم في بعض الخلق، وهو الخالق المالك وحده، فهو وحده الفعال لما يريد. يقول تعالى: **"مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾"** المؤمنون.

وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ: إن لله تعالى أولياء، يقول تعالى: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾** يونس. هم أولياؤه لأنهم يؤمنون به ويحبوه ويطيعوه، لكن هل ينصرونه عند الذلة؟ لا.. فهو سبحانه غير معرض للذلة، ولا يحتاج لمن ينصره.

ماذا ينتج في قلوبنا إذا علمنا وأيقنا بأنه الملك سبحانه؟ أن نكبره تكبيرا "**وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**"، فهو أكبر من المشكلة التي أعيشها وقادر سبحانه على أن يقدر لي أحسن الأقدار، وأكبر من المال الحرام الذي يغريني وقادر على تعويضي بالحلال، وأكبر من المرض الذي يؤلمني وقادر على شفائي، وأكبر من اتباعي لأهوائي بحب المحرمات وقادر على عقوبتي، وأكبر ممن ظلمني، وأكبر مني حين أظلم...

إيماني بالملك سبحانه يعني إعلاء مكانته في القلب حتى يكون هو الكبير ولا كبير سواه.

في نفس المعني يقول تعالى: "**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾**" الفرقان

وضحنا في الآية السابقة معنى أنه سبحانه الملك وحده لا شريك له، لكن هنا ربنا بين لنا صفات أخرى تتناسب مع كونه الملك، الله تعالى الملك **لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:** يملك السماوات والأرض بكل اتساعها وبكل ما فيها من مخلوقات وكائنات وكنوز وكل شيء، فهو مَلِكٌ مُلكه وغناه يتجاوز كل خيالنا، و**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..** يعنى في كل مكان في السماوات والأرض هو وحده من يملك ويعطى ويمنع ويسيطر ويحكم، هو وحده من له القدرة على التصرف، هو الملك وحده لا شريك له في كل ما يحيط بنا من كون. فهو ملك غنى وملكه يشمل كل ما يحيط بنا.

ثم نأتي لصفة أخرى تجعل ملكُ الله تعالى مُلكٌ حق لا يدانيه فيه أحد وليس له مثيل، هو أنه **خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** هو من خلق كل الخلق الذي في السماوات والأرض، يعنى ملكية كاملة ليست لها مثيل في الأرض.

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا: والخالق سبحانه خلق على أحسن مثال، فكل ما خلقه قدر له تكوينه ومعيشته ورزقه على أحسن تقدير.

فهو سبحانه مَلِكٌ غنى ملكه يحيط بكل السماوات والأرض، يملكه وحده بلا شريك، خالق، خلق كل شيء وقدر له أقداره تقديراً مثالياً رائعاً كاملاً.

ما الذي يترتب على معرفتنا ويقيننا بمُلكه الذي وسع السماوات والأرض، والذي قدره تقديراً، أن نعلم أنه ربٌ مباركٌ، يقول تعالى: "**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾**" الملك

لفظ {تَبَارَكَ} مأخوذ من البركة، بمعنى الكثرة من كل خير. وأصلها النماء والزيادة أى: كثر خيره وإحسانه وتزايدت بركاته. أو مأخوذ من البركة بمعنى الثبوت. يقال: برك البعير، إذا أناخ في موضعه فلزمه وثبت فيه. وكل شيء ثبت ودام فقد برك. "**تبارك الذي بيده الملك**" يعنى ثبت ودام خيره على خلقه، أى سبحانه الملك الذي بيده السلطة والقدرة، من صفاته كملك أنه يقدم الخير والإحسان الثابت الدائم الكثير المتزايد، وأيضاً من صفاته كملك سبحانه أنه على كل شيء قدير.

{وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهو الملك، على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يحول دون إرادته شيء، ولا يُحُدُ من مشيئته شيء، يفعل ما يريد، وهو قادر على ما يريده، غالب على أمره، لا تتعلق بإرادته حدود ولا قيود، يعنى قدرته عظيمة محيطة حاضرة، فقدرة الله وراء كل ما يخطر للبشر على أي حال فتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الآية الثالثة:

يقول تعالى: **(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾)** طه

في هذه الآية نجد معنيين يوضحان اسم الله الملك، الأول: "فَتَعَالَى". الثاني: "الْحَقُّ".

"فَتَعَالَى اللَّهُ " يعنى ارتفع وتنزه وتعاظم قدره سبحانه، ما يتناسب مع أنه الملك سبحانه أنه ارتفع عمن يملك وتعاظم قدره عليهم، هذا المعنى يبين أنه سبحانه أعلى من كل خلقه ومن كل ما يملك، لا يشبهه أحد ولايدانيه مكانةً.

" الْمَلِكُ الْحَقُّ " هو مع علوه الملك الحق، الْحَقُّ يعنى علوه هذا خالٍ من الظلم والميل لأحد، هو في علوه حقٌ يحكم بالحق والعدل والإنصاف، والاستعلاء في ملوك الأرض البشر ممقوت، لأنه استعلاء بلا حق ولأنه يؤدى إلى ظلم من يستعلون عليهم، لكنه عند الله تعالى، استعلاؤه يعنى سواسية الجميع لديه، فيطمئن الناس لأنه لن يجور ولن يميل لأحد على حساب الآخر، وهو الملك الحق أى الذي له القدرة الكاملة على التصرف، لديه كل مقومات الملك وليست لأحد غيره، والملك الحق أى الذي ملكه ثابت لا يتغير ولا يزول.

والذي يجب أن يترتب على إيماننا ويقيننا أنه تعالى وارتفع وتنزه وتعاظم قدره سبحانه، وأنه الملك الحق، أن ندعوه بزيادة العلم **"وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا"**، طلب من رسول الله ألا يتعجل تلقي أو فهم العلم الذي بالقرآن الكريم قبل أن ينتهي الوحى من وحيه، وهذه دعوة لمعرفة أن العلم يحتاج للتلقي الهادئ والاستيعاب، ثم جعل سبحانه أجل هدف وأرقى طلب يطلبه المسلم من الله تعالى الملك الحق، الزيادة من العلم، العلم به، وكل أنواع العلم، فالله تعالى فضل بني آدم بالعلم، فالإنسان يحقق إنسانيته بالعلم، فإن آمنا بأنه العلي الملك الحق، فلابد أن نطلب العلم ونسعى إليه ونبذل في سبيله.

وفي آيات أخرى يوضح لنا رب العالمين معنى أنه الملك الحق، يقول تعالى: **(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾)** المؤمنون.

تبدأ هذه الآيات الكريمة بسؤال استنكاري، هل تعتقدون أنكم خُلقتم عبثاً بلا نظام ولا قانون يحكم وجودكم!!، والاستنكار يأتي عادة ليتعجب من نفي قضية واضحة كالشمس، إن الذي يدحض هذا الاعتقاد ويلغيه، هو أنه تعالى الملك الحق، والملك الحق ما كان ليخلق شيئاً عبثاً، يقول تعالى: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾)** الدخان.

لذلك فإن من مستلزمات الإيمان باسم الله تعالى الملك، الاعتقاد الراسخ بالرجوع إلى الله يوم القيامة، وبالحساب، والثواب، والعقاب.

الآية الرابعة:

يقول تعالى: **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾** فاطر

تأتي هذه الآية الكريمة في إطار ذكر نعم الله تعالى على البشر، من نعمة الخلق حتى نعمة الرياح والبحار، ثم نعمة ادخال الليل في النهار بلطف وتدرج، وتسخير الشمس والقمر، فهما يعملان لخدمة البشر حتى يأتي الأجل المسمى، كل هذه النعم والعطايا هى من صاحب الملك سبحانه وتعالى، الملك صاحب كل هذا المُلك العظيم الذي لا يستطيع أحد أن يدعيه.

إن الذي يترتب على الإقرار بملكيته سبحانه لكل هذا المُلك العظيم، ألا ندعو غيره، ولا نعتقد أن كائناً من كان يمكن أن ينفعنا أو يضرنا، فمهما كانت قوة من نتوجه إليه، فهو لا يملك قطميراً، والقطمير غشاء رقيق يغلف نواة التمرة، إنه لا يملك التمرة ولا نواة التمرة، بل لا يملك حتى الغشاء الرقيق الذى يغطى النواة، أي لا يملك أبسط وأقل ملكية، فكيف ندعوه ونعتقد أنه يملك لنا شيئاً وهو لا يملك أتفه شيء ليست له منفعة لنا أصلاً، كيف ندعوه ونترك الملك المالك صاحب المُلك، الذي يملك السموات والأرض وما بينا، وسخرهم وما فيهما لخدمتنا.

وفي آيات أخرى يبين لنا سبحانه معنى أنه الملك، يقول تعالى: **(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾)** الزمر.

في هذه الآيات الكريمة يبين لنا ربنا معنى أنه الملك صاحب **الْمُلْكُ**، إن الملك سبحانه هو الذي خلقكم ووهبكم الحياة، ورزقكم من الأنعام ما تتيسر به الحياة، وجعلكم في مأمنٍ في بطون أمهاتكم حتى يكتمل خلقكم، (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) فكيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء.

ما الذي يترتب على معرفة أنه الملك صاحب النعم والعطاءات؟ أنه غني عن العالمين، فمن يكفر به فلا يعتقد أنه بذلك قد أنقص من ملك الله أو أثر أدنى تأثير في ملكه، لكنه سبحانه لا يرضى لعباده أن يختاروا الكفر، لأنه نقصٌ في عقل وقلب الكافر، لا يرضى به لعباده الذين خلقهم في أحسن تقويم.

لكن الذي يترتب على الإيمان بأنه الملك صاحب المُلك، شكره سبحانه على نعمة الحياة وتسخير ما بها لنا، ورحمته بنا في كل مراحل حياتنا، هذا ما يرضاه سبحانه لعباده، شكره على نعمه ورحمته، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، والعلم بأنه عليم بذات الصدور، فيسعون لتطهير قلوبهم من النفاق والرياء، ويملؤونها بحبه والإخلاص له.

الآية الخامسة:

يقول تعالى: **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾** غافر.

الملك الحق لن يخفى عليه شيء، سوف تشهد الجوارح والنيات ويتوقف اللسان، ما ملكنا الله تعالى إياه في الدنيا من الحواس، سوف ترجع ملكيتها للملك الواحد القهار، وسوف تشهد بالحق، يوم مهيب، يوم عظيم، يوم تشيب من هوله الولدان، يوم يبحث فيه كل

إنسان عن حسنة تبعده عن النار وتدخله الجنة، من يملك هذا اليوم من يملك فيه الرحمة والمغفرة، من يملك فيه الحساب والعقاب، من يملك فيه الجنة والنار، الله الملك الواحد القهار.

يقول تعالى: **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾** الحج

هنا لقطة جميلة جداً قالها د. راتب النابلسي يقول: (هنا العلماء وقفوا وقفة رائعة قالوا: الحقيقة أَنَّ الملك لله تعالى في الدنيا والآخرة، فلماذا خصص سبحانه أن الملك له يوم القيامة؟ يقول العلماء أن الغافلين الشاردين الضعاف يرون أنَّ الأمر بيد زيد أو عبيد في الدنيا والحكم بيد فلان والأمر بيد فلان، أما إذا كان يوم الدين كل الخلائق قاطبة ترى أن الأمر بيد الله وأَن الحكم لله وأنه إلى الله تصير الأمور، فالبطولة والتوفيق أَنْ ترى هذه الحقيقة في الوقت المناسب. إذاً حتى الكفار والشاردون وحتى أعتى الكفرة سوف يرون يوم القيامة أن الملك كله لله، ولكنهم في الدنيا لا يرون أنه الملك، يرون أولياءَ من دونه، يرون مراكز قوى في الحياة يتخذونها ملوكاً عليهم من دون الله، يرون أهواءهم وشهواتهم ومجتمعاتهم وأولادهم ومساكنهم وممتلكاتهم، ويوم القيامة يرون الحقيقة، إذاً القضية قضية وقت فقط، إما أن ترى الحق في الوقت المناسب قبل أن يفاجئك الموت أو لابد أن تراه يوم القيامة فيكون حسرة وأية حسرة، إذاً البطولة و التوفيق لا أن تنتظر إلى أن ترى مع الآخرين الحقائق، البطولة أن ترى الحقيقة في الوقت المناسب كي تستفيد منها.) كلام جميل وضح المعنى المهم للآية الكريمة.

فما الذي يترتب على معرفتنا وإيماننا باسم الله تعالى المَلك صاحب المُلك يوم القيامة؟

(يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ)، إن اعتقدنا صدقاً أنه سبحانه الملك الواحد القهار، فسيتحول اهتمامنا بطاعته من الخارج للداخل، يقول د. النابلسي: (الإنسان في الدنيا يتجمَّل، له حقيقة وله مظهر ، بإمكانه أن يتظاهر بالغنى وهو فقير، يتظاهر بالعلم وهو جاهل، يتظاهر بالصلاح وهو مُجْرِم، في الدنيا في مجال وفسحة، لكن يوم القيامة تبدو على حقيقتك من دون زيفٍ أو تزوير. فالإنسان مهما طلى نفسه بطلاءٍ مزيَّف، مهما تظاهر في الدنيا، مهما تظاهر بالصلاح، مهما تظاهر بالورع، مهما حَسَّنَ سمعته، مهما كان منضبطاً أمام الناس، إذا كان له خلوة لا ترضي الله هو ساقطٌ من عين الله، لا تنسوا هذين القولين: " من لم يكن له ورعٌ يصدُّه عن معصية الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيءٍ من عمله ". من رحمة الله بنا في الدنيا: أنه ولحكمةٍ بليغةٍ ورحمةٍ عميمةٍ يُظهر من الإنسان الجميل، ويستر القبيح، يبدو للناس بأجمل مظهر، يبدو للناس بأنعم طريق، سلوك متوازن، هادئ، فيه اتِّزان، فيه قبول، لكن الإنسان قد يكون له حقيقة ثانية لا ترضي الله عزَّ وجل، هذا ساقطٌ من عين الله، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتتحطّم أضلاعه خيرٌ له من أن يسقط من عين الله.)

هذا هو ما يترتب على إيماننا بأنه سبحانه الملك صاحب المُلك يوم القيامة، أن نتوجه بأعمالنا لله وحده، وننقي دواخلنا من الكذب والزيف والتصنع ومراءاة الناس، ونوقن أن كل أفعالنا وأقوالنا ونوايانا وما نفعله في الخفاء، سيكون بارزاً لصاحب الملك يوم القيامة.

وتوضح هذه الآيات أيضاً معنى أنه سبحانه الملك صاحب المُلك، يقول تعالى: **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾** الفرقان

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ كل أملاك البشر أملاكٌ وهميَّة وقتية، لأن المُلك الحقيقي هو ما كان ثابتاً مستقرّاً، وهو ملك الله تعالى، أما المُلك الذي يزول فليس مُلكاً، لهذا كان هذا اليوم عسيراً على من كفر بأن المُلك الحق هو لله وحده، لقد اعتقد في الدنيا أنه يملك ملكاً حقاً باقياً، فانطلق فيه بهواه وأفسد وطغى وبغى، ثم يرى يوم القيامة أنه لم يكن ملكاً حقاً، بل ملكٌ مؤقتٌ عليه حساب عسير، لذلك هو عليه يوم عسير.

صورة أخرى لمن لم يؤمن أن المُلك الحق له تعالى وحده، وصفه ربنا بالظالم، لقد ظلم نفسه ظلماً كبيراً، ماذا فعل؟ .. لكي نعلم من هو أولاً لابد أن نربط هذه الآية بالتي تليها مباشرة، فيها يقول الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، إنه رسول الله عليه الصلاة والسلام صاحب رسالة القرآن الكريم، فماذا فعل هذا الظالم، يعض على يديه من الألم والحسرة، ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيل رسالته، يا ويلتي ليتني لم أصاحب وأصدق فلان وعلان، لقد أبعدوني عن القرآن بعد أن وصلني محفوظاً كاملاً، وهنا سوف يسخر منه الشيطان ويتركه يواجه مصيره وحده.

يشكو رسول الله لرب العالمين مما فعله هذا ومن مثله، لقد هجروا القرآن الكريم لما هو دونه، لما هو ظني مكذوب موضوع منقول مشوه لدين الله تعالى يمثل ديناً عكسياً، لقد ظلم نفسه وأحزن رسوله وسيواجه مصير الظلمة، لو كان يؤمن أن المُلك الحق لله وحده، ما اتبع غير رسول الله فيما جاء به من كتاب الله الحق.

الآية السادسة:

يقول تعالى: **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾** التغابن

هو سبحانه مَلِكُ يسبح له ما في السموات والأرض، أى الكون كله مقرٌ بملكه يُقدسه ُويُعَظِّمَهُ ويُمَجِّدَهُ وَيُنَزِّهَهُ ويُطيعه، فهو سبحانه له **الْمُلْكُ** وله العظمة والرفعة، لذلك فله وحده الحمد، وقد عرف الإمام ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد) الحمد فقال: (... فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه..)، هو صاحب المُلك، صاحب النعم والعطاءات والمنن، فله الحمد كله، وهو على كل ما يشاؤه قدير، ملكه لا يمنعه فيه أحد عما يريد، ولايعجزه فعل ما يريد مهما كبر أو تعاظم بأعيننا، فهو الملك يملك ويقدر ويحكم ولا أى حاجز بينه وبين ما يريده ويشاؤه.

ما الذي يترتب على إيماننا بأنه الملك صاحب الملك، أن نقف عند حدودنا ولا نتألى على الله، فهو الملك خلق البشر مختارون، فأصبح منهم المؤمن، ومنهم الكافر، هكذا أراد الله تعالى عباده، أراد لهم حرية الإرادة والاختيار، فليس من الأدب مع الملك أن نجبر

أحداً على الإيمان به، إن الملك صاحب المُلك خلق الناس ليأتوا إليه بإرادتهم الحرة فقط، فلا مجال لأي إجبار تحت مسمى حب الدين أو الحفاظ على صورة التدين، إنما الإيمان يكون بالاختيار والإرادة الحرة فقط، وليس لنا إلا أن ندعو بالتي هى أحسن.

الآية السابعة:

يقول تعالى: **(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾)** الحشر

لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العليا، كل اسم وكل صفة إن آمنا بها وأيقنا بها، فإنها تخرجنا من الشرك به سبحانه، فلا نرى أحداً يمكنه أن ينفعنا أو يضرنا، ولا نعمل إلا له، ولا نبتغي إلا وجهه الكريم، ولا نخشى أحداً سواه، ولا نطمئن إلا له، ولا نعبد إلا هو.

لماذا ذكر الله تعالى تسبيحه وتنزيهه بعد أسمائه الحسنى؟ ليبين لنا أنه إذا اعتقدت أن في الكون ملكاً غير الله فقد أشركت، إذا اعتقدت أن في الكون قُدُّوسا غير الله فقد أشركت، إذا اعتقدت أن في الكون مُهيمناً غير الله فقد أشركت، إذا اعتقدت أن في الكون عزيزاً غير الله فقد أشركت، إذا اعتقدت أن في الكون جباراً غير الله فقد أشركت، وإذا رأيت كبيراً غير الله فقد أشركت.

هذه هى أهمية معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن نوحده عن علم وفهم ويقين، ونتزهه عن أي نقص وعن أي شريك.

ويقول تعالى: **(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾)** الجمعة.

كل ما في السماوات والأرض ينزهه سبحانه عن أي نقص وعن أي عيب، وعن أي شر وعن أي ظلم، لأنه الملك القدوس العزيز الحكيم. والذي يليق بأسمائه وصفاته، أنه بعث في الأميين رسولاً منهم، من أنفسهم، يعرفونه ويعرفون نشأته بينهم، حتى ييسر عليهم قبول الرسالة، يُعلمهم أرقى وأرفع وأجل آيات الله تعالى، يُزكي بها نفوسهم من الغرائز والشهوات الدنية، ويُعلمهم الكتاب والحكمة التي ترفعهم لمقامات تليق بإنسانيتهم وتميزهم كبشر عند رب العالمين، لأنهم كانوا من قبل في ضلال مبين.

ثالثا: كيف نؤمن باسم الله تعالى (الملك) ونطبقه في حياتنا.

لكي نفهم أهمية الملك في حياتنا يمكن أن نتخذ من ملك الدنيا مثال، إن أهمية ملك الدنيا في حياتنا أنه يجب أن يحقق مصالحنا ومطالبنا، ويحفظنا من الأعداء، ويحكم بالعدل، ويحقق الحياة الطيبة لشعبه... وكلما كان الملك قوياً عادلاً قريباً من شعبه، كلما كانت ثقتنا فيه أكبر، فنعمل على ألا نخرق قوانينه حتى نحوز عطاياه، وإذا زاد حبنا وتقديرنا له نحرص على عمل ما يرضيه ويتماشى مع ما يطلبه منا، وإذا سنحت لنا فرصة للجلوس معه، نحسن الدخول عليه والطلب منه.

فلما يكون الملكُ سبحانه وهو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، كل من يملك شيئاً فهو وما يملك ملك لله تعالى، وهو مَلِكٌ مباركٌ بيده الخير الدائم الثابت المتزايد، وهو مَلِكٌ لا يميل لأحد ولا يميز أحداً، الكل عنده سواسيه، وهو مَلِكٌ حق يحكم بالحق والعدل، وملكه ثابت لا يتغير ولا يزول، وله كل مقومات الملك التي ليست لغيره،

فهو الخالق، وهو المحيي المميت، وهو الملك الرب الذى يعتنى بكل شئون خلقه، وهو ملكٌ على كل شيء قدير، وهو ملكٌ غنى ملكه يشمل كل ما في السموات والأرض، ، وهو الملكُ في حياتنا الدنيا وفي الآخرة، فهو مالك يوم الدين، فتبارك الله الملك رب العالمين.

فلنرى كيف نؤمن ونتعامل مع الملك الحق في حياتنا

أولاً: نتعلم هذا الاسم ونتفهمه كما فعلنا في السطور السابقة، ثم نصدقه ونوقن به من خلال كثرة العلم والممارسة والعمل، ونتابع قرارات حياتنا ونتخذها على أساس أن عندنا ملك واحد في حياتنا هو الله رب العالمين، ونكفر بمن دونه، يعنى لا نتعامل مع أى أحد في حياتنا على أنه ملك، ملك نتقرب منه ونحاول أن نكسب رضاه ونطيعه ونخاف من غضبه، ونطلب منه المنفعة والمصلحة.

إن شهادة الإيمان هى (لا إله إلا الله) النفي أولاً أن نتخذ إله إلا الله تعالى، فالإيمان باسم الله الملك يتطلب أولاً أن نرفض وجود أى ملك في حياتنا إلا الله تعالى.. يقول تعالى: **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾)** البقرة. الكفر بالطاغوت أولاً ثم الإيمان بالله تعالى، والطاغوت هو كلُّ مضل يصرف عن طريق الحق والخير.

ثانياً: أن نؤمن أننا وكل ما نملك ملك لله تعالى، فكل ما يُملكه الله لنا في دنيانا هو على سبيل الإعارة والاستخلاف، أعاره الله تعالى إياه واستخلفنا فيه، ليرى فيه سعينا واجاباتنا، وقد أوضح لنا أعرابي هذا المعنى في هذا الحوار، سواءً كان حقيقياً أو رمزياً، ففيه تبيان لمعنى اسم الله الملك، فالأعرابي كان يرعى بقطيع من الغنم، لما سُئل **لمن هذه؟ قال: لله في يدي** منذ أربعين سنة. عنده رؤية صحيحة، أنها أصلاً ملك لله تعالى أعارني إياها منذ أربعين سنة، إجابة تدل على فهم عميق لاسم الله الملك، فالمؤمن الصادق يرى أنه وما يملك ملك للملك الحق، مِن لوازم الإيمان باسم الله الملك أن ترى أن كل شيء بحوزتك هو ملك لله عز وجل سمح لك أن تتصرف به. لمن هذه الثروة يا فلان؟ لله في يدي، صحتك وجسدك لله فى يدك، بيتك لله في يدك، عملك ووظيفتك لله في يدك، عقلك وذكاؤك لله في يدك.

فإذا آمنا بالله تعالى مالك ومملك، إذاً ليست هناك ملكية ذاتيه، بل هو استخلاف حتى ترد لصاحبها، المالك على وجه الحقيقة، النتيجة الطبيعية للإيمان بذلك أن استخدام كل ما ملكني إياه كما يحب ويرضى، من غير المعقول أن أوقن أن ما أملكه سيسترده صاحبه، ثم أتصرف فيه كأنني الملك، هل تعاملي مع الشقة المستأجرة كتعاملي مع الشقة التمليك؟ بالطبع لا.. تعاملات كثيرة جداً يختلف فيها تعاملي في الحالتين، أهمها أن المستأجرة ستعود لمالكها لذلك لابد من التعامل معها بالقواعد التي وضعها صاحبها، فإن لم أفعل وتجاوزت هذه القواعد، فبالتأكيد سأتلقى غرامة أو عقوبة، مع تساؤل باستغراب، كيف جرؤت على فعل هذا وأنت لست بمالكها وسوف تعيدها له يوماً ما؟؟

ومثال لمن اعتقد أنه يملك ملكية ذاتيه، وبالتالي فليس عليه أن يتصرف فيها كما أمر صاحبها، قارون الذي قال إنما أوتيته على علم عندي. يعنى أنا من صنعت هذه الثروة وأنا من أملكها، وليس لأحد أن يقول لي كيف أتصرف فيها، فاتضح أنه لا يملك على وجه الحقيقة ولا مليم واحد من هذه الثروة، فقد تصرف في ماله على غير مراد الملك، وبغى بماله وظلم، فخسف به وبما يملك الأرض.

إذاً الإيمان باسم الله تعالى الملك يجعلني أحافظ على صحتي ومالي وأهلي ووظيفتي وما أملك وكل ما مكنني فيه، كما يحب المالك ويرضى حتى أكون من الفائزين عندما يحين ميعاد تسليم الأمانة.

ثالثاً: أن آنَفُ من التذلل لمخلوق مثلى، هو عبد لله لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا، قال بعضهم: أيجمل بالحرِّ أن يتذلل للعبيد وهو يجد مِن مولاه ما يريد، أُطلبْ تعطِ، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد.

فالمؤمن يطلب حاجته من بعض الناس بعزة نفس وبأدب وتواضع، لكن قلبه ممتلئ باليقين أن الله تعالى هو الملك، وأنه وحده الذي يعطى ويمنع، إذا وثقت بالملك لا يخيبك، وإذا سألته أعطاك. إن لم تكن عبدا لله وحده، فأنت عبد لعبد لئيم.

حُكي عن شفيق البلخي أنه قال: كان ابتداء توبتي أن رأيت غلاماً في سنةِ قحطٍ يمزح زهواً والناس تعلوهم كآبة، فقلت له: يا هذا ما هذا المرح؟ ألا تستحي؟ أما ترى ما فيه الناس من المحن؟ فقال لا يحق لي أن أحزن ولسيدي قرية مملوكة يدخر لي فيها كل ما أحتاج، فقلت في نفسي: إن هذا العبد لمخلوق ولا يستوحش لأن لسيده قرية مملوكة، فكيف يصح أن أستوحش أنا وسيدي مالك الملك فانتبهت وتبت، الغلام لقنه درساً في التوكل على الملك.

رابعاً: أن نتخذه هو الولي النصير.. يقول تعالى: **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾** البقرة. العلم واليقين بأنه سبحانه الملك الذي له ملك السماوات والأرض تجعلنا نتخذه ولياً ونصيرا، الولي والنصير هو الشخص أو الجهة التي تلجأ إليها لتحميك وتنصرك وتساندك، فإذا أيقنا أنه الملك، فيجب أن نتخذه ولياً نصيراً، لأن الحقيقة أنه لا ولى لنا ولا نصير غيره، كل عباده لا يجوز ولا ينفعنا أن نتخذ أحداً منهم ولياً ولا نصيراً لأنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً ولا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف نعتمد عليهم في نصرتنا، ولما يخبرنا ربنا أن المؤمنون بعضهم أولياء بعض **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾** التوبة. فهم يعاونون بعضهم في العمل بالمعروف والنهي عن المنكر. أما الولاية بمعنى الاستعانة فهى لله وحده ملك السماوات والأرض.

إنه من رفعة الإنسان أن يكون وليه ونصيره الملك الحق، هو سبحانه مباشرة تسأله فيجيبك، تستنصره فينصرك، تواليه فيواليك، لا وضع أرقى ولا أكرم ولا أجمل من أن يكون الملك هو ولينا وناصرنا.

إذاً الإيمان باسم الله تعالى الملك يعنى أنه هو وحده من أُعظمه بقلبي وأتوجه إليه بنيتي وعملي، هو من أثق في أنه سيقضى حاجتي، هو من أشكو إليه وألجأ إليه ليرشدني ويهديني لحل مشاكلي، ولكي يكون لي ولياً ونصيراً، لابد أن أكون من أوليائه، يقول تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ**

أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾) يونس. الإيمان والتقوى هو طريقنا لأن نكون من أولياء الله تعالى، ليكون لنا ولياً ونصيرا.

رابعاً: التخلق باسم الله الملك.

قيل لبعض الشيوخ أوصني فقال: كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة، فقال وكيف أفعل ذلك؟ قال: ازهد في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة، على المؤمن أن يكون ملكاً، يملك هواه فلا يفعل إلا ما يحبه الله ويرضا، ملكاً على لسانه فلا يقول إلا ما يُرضى الملك، وملكاً لعينه فلا يرى إلا ما يُرضى الملك، وملكاً على أذنه فلا يسمع إلا ما يُرضى الملك، المؤمن يكون ملكاً عندما يترفع عن الصغائر ويعين الضعفاء ويقضى حوائج الناس.

وفي ختام حديثنا عن اسم الله تعالى **الملك**، يتبين لنا أن هذا الاسم العظيم ليس مجرد وصف لجلال الله وسلطانه، بل هو حقيقة إيمانية تبني القلب وتوجه الحياة. فالله سبحانه هو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض، يُملك وينزع الملك، يعطي ويمنع، يعز ويذل بحكمة وعدل ورحمة، وكل ما في أيدينا إنما هو أمانة واستخلاف إلى حين.

إن الإيمان باسم الله الملك يحرر الإنسان من التعلق الزائف بالمخلوقين، ويمنحه عزّة التوجه إلى الله وحده، والثقة بحكمه، والرضا بتقديره، كما يربيه على حسن التصرف فيما مَلَّكه الله، وعلى مراقبة الظاهر والباطن، استعداداً ليومٍ ينكشف فيه كل شيء، ويُنادَى فيه: **﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**.

وإذا كان الكون كله يسبح للملك سبحانه ويخضع لأمره، فجدير بالمؤمن أن يجعل هذا الاسم حيًّا في قلبه وسلوكه، فيعظم ربه حق التعظيم، ويستعين به دون سواه، ويعيش عبداً للملك الحق لا أسيراً لملكٍ زائل أو سلطانٍ فانٍ.

فالحمد لله الملك الحق، مالك الملك، الذي بيده الخير كله، ونسأله سبحانه أن يرزقنا صدق الإيمان بأسمائه الحسنى، وأن يجعل قلوبنا معلقة به وحده، خاضعة لأمره، مطمئنة بحكمه، حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الثالث

الْغَفَّارُ

الغفّار

إنَّ أسماء الله الحسنى هي مفاتيح القلوب إلى معرفة الله تعالى، وكلما ازداد الإنسان فهمًا لهذه الأسماء، ازداد قربًا من ربه، واطمأن قلبه، واستقام سلوكه. ومن بين هذه الأسماء العظيمة يبرز اسم الله **الغفّار**، الذي يفتح أبواب الأمل لكل مذنب، ويمنح الطمأنينة لكل تائب، ويؤكد أن رحمة الله أوسع من الذنوب جميعًا.

فالله سبحانه لا يكتفي بمغفرة الذنب، بل يستره، ويقبل التوبة، ويبدل السيئات حسنات لمن صدق في رجوعه إليه. وهذا المعنى يجعل الإنسان يعيش بين الخوف والرجاء، فلا ييأس مهما كثرت ذنوبه، ولا يغتر فيتمادى، بل يسارع إلى التوبة ويجتهد في العمل الصالح.

وفي هذه المقالة نتناول اسم الله **الغفّار**، لنتعرف على معناه، ونتدبر الآيات التي ورد فيها، ونفهم كيف نؤمن به ونعيشه في واقعنا، حتى نكون من أهل مغفرته ورحمته.

اسم لله تعالى الغفار، هو اسمٌ وصفةٌ لله تعالى نحن أحوج ما نكون له، وكما فعلنا في الشرح السابق، سنقسمه على عدة نقاط..

أولاً: معنى اسم الله الغفار في اللغة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الغفار وما يتلازم معه.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الغفار ونطبقه في حياتنا.

رابعاً: التخلق باسم الله الغفار.

أولاً: معنى اسم الله الغفار في اللغة

غفَر الشّيءَ: ستره، خبَّأه، غَفَرَ الشَّيْبَ بالخضاب: غطَّاه، غَفَرَ المتاعَ في الوعاء: أَدخله فيه وسترَه، غَفَرَ الأَمْرَ: أَصْلَحَهُ.

فمغفرة الله تعالى تعنى ستر الذنب أي عدم المؤاخذة به، وستر الذنب أيضاً بمعنى لا يُظهره للآخرين فلا يفضحنا أمام الناس. والغفار صيغة مبالغة من غفر، أى هو سبحانه كثير الستر والمغفرة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله تعالى (الغفار) وما يتلازم معه.

إن اسم الله الغفار بمشتقاته المختلفة ذكر أكثر من ٢٠٠ مرة بآيات القرآن الكريم، منها الغفار الغفور غفور ذو المغفرة يغفر غفرنا غفر مغفرة غافر، ذكر اسم الله الغفار جاءت بكل هذه المشتقات لكي تؤكد أن الله تعالى يغفر لنا على أى حال جئنا بالذنب، غفر ما مضى ويغفر لنا الآن ويغفر لنا في المستقبل وهو ذو مغفرة ، لأي زمن هو غفار، لأي ذنب هو غفار، إن كان الإنسان ظالما وتاب فالله غافر، وإن كان ظلوما وتاب فالله غفور، وإن كان ظلّاما وتاب فالله عز وجل غفار، بأية صفة أتى بها العبد المعصية فهناك اسم لله عز وجل يقابل هذه المعصية. في أى وقت وعلى أي حال وبأي درجة فعل الذنب فاستغفر وتاب، فهو يغفره.

الآيات الأولى:

مما يتلازم مع اسم الله الغفور، أنه الرحيم، فلن تغفر إلا إذا كنت رحيماً.

ومن هذه الآيات:

يقول تعالى: **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾** النساء.

يقول تعالى:.. **وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾** النساء.

يقول تعالى: **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾** المائدة.

يقول تعالى: **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾** التوبة.

ذُكر اسم الله تعالى الغفور مقترناً بالرحيم بآيات القرآن الكريم ب ٧٢ آية، والرحيم أكثر اسم اقترن بالغفور، لأن الغفور لابد أن يكون رحيماً حتى يغفر الذنوب والمعاصي، هو غفور رحيم لمن عمل سوءاً وظلم نفسه فاستغفر، هو غفور رحيم لمن يحاول دائماً الإصلاح والتقوى في معاملاته، غفور رحيم لمن تاب بعد ذنبه وأصلح، غفور رحيم لمن يعترف بذنبه وهو يحاول أن يهتدي بهدي الله تعالى فيحسن مرة ويخطئ مرة أخرى، وهكذا..، ب٧٢ وضع وعند ٧٢ حالة مختلفة، الله تعالى غفور رحيم.

الآية الثانية:

إن مما يتلازم مع اسم الله تعالى الغفار، أنه قريب مجيب، يقول تعالى: **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾** هود.

نسأل الله المغفرة لأنه قريب مجيب، فمن تستغفره قريب، لن تتكفل الذهاب إليه، لن تتعب للتوصل له، يكفيك أن تستغفره وأنت في مكانك، وأنت وحدك وفي خلوتك، تستغفره بقلبك المليء بالندم على المعصية والرغبة في المغفرة، تستغفره بالعمل الصالح.

وهو إلى جانب أنه قريب، هو مجيب، سيجيبك ويغفر لك، يكفيه أن تستغفره بقلب صادق منيب، فيغفر لك في التو واللحظة، وقد استغفره سيدنا موسى لما قتل الرجل خطأً فغفر له، قال تعالى: **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾** القصص. اغفر لي فغفر له.

الآية الثالثة:

يقول تعالى: **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾** هود.

إنها دعوة سيدنا شعيب لقومه، دعوة للاستغفار من خلال القيام بالأعمال الصالحة التي أمرهم بها، بالعدل في الميزان، والإنصاف في المعاملة، والبعد عن الافساد في الأرض. لماذا يدعوهم للاستغفار والتوبة، لأنه **رَحِيمٌ وَدُودٌ**، فالغفور رحيم، والرحمة هى العطاء الفائض على المحتاج، هى النظر للمحتاج بعين الشفقة والرغبة في اصلاح أحواله والاستجابة لمتطلباته.

والغفور ودود، والود هو أن تقدم الاحسان بلا طلب أو احتياج، فالله تعالى هو "الرحيم الودود" يغفر للمذنب ويرحمه، ويزيدُه من عطائه عطاءات لم يطلبها ولم تخطر بباله، لأنه يتعامل مع الملك الغفور الرحيم الودود.

ويقول تعالى: **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴿١٦﴾ البروج.

الآية الرابعة:

يقول تعالى: **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾** الملك.

يقول تعالى: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾** ص.

ما الذي يفيدنا من تلازم اسم الله الغفور والغفار بالعزيز؟ إنها الثقة في مغفرته ذنوبنا مهما عظمت، لأنه عزيز يفعل ما يريد ولا راد لإرادته، فلا نستعظم ذنوبنا ونعتقد أنه لن يغفر لنا، ولا نستعظم ذنوب الآخرين وندعي أنه لا غفران لهم، هو سبحانه له الحكم وحده، ولا راد لفضله. وكونه في غفرانه عزيز، يجعلنا لا نتألى عليه ونطلق أحكاماً لا نملكها، فقد غفر لمومس لسقياها الكلب الذي كاد يموت من العطش.

الله الملك العزيز الغفار، يغفر لمن يشاء بعمل لا نتخيل إنه يؤدى للمغفرة، إنسانة في هذه المعصية الكبيرة، غفر لها لأنها سقت كلباً، نظر إلى قلبها والرحمة التي ملأته، فجازاها رحمة من عنده وغفر لها. لو الحكم لنا لم نكن لنحكم بهذه المغفرة على مثل هذا العمل، لكن لأنه سبحانه هو الملك العزيز الغفار، يغفر لمن يشاء لأنه الأعلم بعباده، الأعلم بظروفهم وقلوبهم ونواياهم.

الآية الخامسة:

يقول تعالى: **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾** النجم.

مما يتلازم ويوضح اسم الله تعالى الغفار، أنه واسع المغفرة، سعة الله تعالى تليق بعظمته وجلالة، سعة لا نتخيلها، مهما عظمت الذنوب، مع الاستغفار، الله تعالى واسع المغفرة يغفرها، فالمسلم لما يتوب ويستقيم، ويجتنب الكبائر إلا ما يحدث نادراً بدون إصرار، فإن الله تعالى الواسع يسعه بمغفرة لم يكن يتخيل سعتها تشمل كل معاصيه.

الآيات السادسة:

يقول تعالى: **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾** المائدة.

ويقول تعالى: **ما يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾** فصلت.

مما يتلازم مع اسم الله الغفور الرحيم، أنه شديد العقاب وأنه ذو عقاب أليم، فالمغفرة لها طريقها وأسبابها التي بينها رب العالمين، فمن يتخذ طريقها فسيغفر الله تعالى له، أما من يجحد آيات الله تعالى ويرتكب الفواحش ما ظهر منها وما بطن مع الإصرار، فلن يعامله الله تعالى باسمه الغفور، إنما ستصيبه نتائج معاصيه بعقوبات وآلام شديدة.

إذاً مما يتلازم مع اسم الله تعالى الغفار الغفور أنه رحيم، وأنه ودود، وأنه قريب مجيب، وأنه عزيز، وأنه واسع المغفرة، وأنه شديد العقاب وذو عقاب أليم، سبحانه وتعالى،"**أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**" ﴿١٥٥﴾ الأعراف.

** سنستعرض الآن نقطتان توضحان اسم الله الغفار من خلال استعراض ما أخبرنا به رب العالمين من صفات المؤمنين الذين سيغفر لهم، وصفات من لن يغفر لهم:

١. **هؤلاء سيغفر الله تعالى لهم.**

١) يقول تعالى: **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴿البقرة: ٥٨﴾

هؤلاء بني إسرائيل، أنعم الله تعالى عليهم بنعم كثيرة، منها السماح لهم بدخول قرية مليئة بخيرات الله، وأتاح لهم الأكل منها ليهنؤوا بعيشة طيبة منعمة، لكن يدخلوا هذه القرية بتواضع ويطلبوا من الله تعالى أن يحط عنهم خطاياهم، وهذا لكي تستقر نفوسهم على معرفة نعم الله تعالى، فتحسن التعامل معها، وفي هذه الحالة سيغفر الله لهم خطاياهم، بل سيزيد المحسنين منهم من نعمة ومغفرته.

إذاً من الذي يغفر الله تعالى لهم؟ هم هؤلاء الذين لو قُدرت لهم الحياة الرغدة الطيبة، فأكلوا وشربوا وتعلموا وعملوا وتزوجوا وأنجبوا وربوا أولادهم وحققوا مرادهم، وفعلوا المباحات.. بشرط (كما يقول د. النابلسي): "افعل ما تشاء من المباحات على شرط أن تعبد الله، أن تقف عند حدوده، أن تأتمر بأمره، أن تنتهي عما عنه نهى، أن تحبَّ الله ورسوله، لا يوجد في الدنيا حرمان، ولكن يوجد تنظيم، كل الشهوات التي أودعها الله بالإنسان لها قنوات نظيفة، أية شهوةٍ أودِعَت في الإنسان لها قناةٌ نظيفةٌ تسري خلالها، فأنت حينما تعرف الله تفعل كل شيء لكن وَفْقَ منهجه." هؤلاء من يغفر الله تعالى لهم ذنوبهم ويضع عنهم خطاياهم.

٢) يقول تعالى: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿البقرة: ١٩٩﴾

يحثنا رب العالمين على مصاحبة الاستغفار عند أداء العبادات، فالعمل الصالح يرفع الدعاء لله تعالى ويجعله مقبولاً، لذلك يحثنا على مداومة الاستغفار بعد الانتهاء من شعيرة الحج وغيرها من الشعائر، لجبر ما قد يكون حدث بها من خلل، وللتذكرة بالاستمرار على الأخلاق التي اكتسبها الإنسان من أداء هذه الشعيرة، فالله غفور رحيم لمن كان هذا فعله.

٣) يقول تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿البقرة: ٢١٨﴾

الله تعالى يغفر لمن يرجو رحمته، يرجوها عن طريق البذل من نفسه وماله، يرجوها بالعمل الجاد في سبيل تحقيق ما يحبه ويرضاه، يرجوها بالحركة الإيجابية للخروج من الأزمات، يرجوها عن طريق إخلاص النية في كل عمل يتبع سنن الله تعالى، فمن كانت حركة حياته تبعاً لسنن الله تعالى، فهو من يرجو رزق الله تعالى وتوفيقه وبركته، هذه هي رحمة الله.

٤) يقول تعالى: **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿البقرة: ٢٦٨﴾

يغفر الله تعالى للمنفقين في سبيله، عند الإنفاق في سبيل الله تعالى تتجاذب المؤمن وجهتان، جهة الشيطان الذي يعد المؤمن بالفقر إذا أنفق، ورب العالمين الذي يعده بالمغفرة، والتي هي أثمن ما يجنيه المؤمن وما يكسبه من الإنفاق، مغفرة الله تعالى لذنوبه، ثم يزيده الواسع من فضله، فمن يُصدق ربه ويُكذب الشيطان، فهذا يعوضه أضعاف ما أنفق.

٥) يقول تعالى: **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿آل عمران ٣١﴾

يغفر الله تعالى ذنوب من يعلن عن حبه له، ويُؤكد ويُصدق هذا الحب باتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما جاء به، فمن كان صادقاً في حبه لله تعالى، فهو صادقٌ في اتباع رسول الله ومصدقٌ له، هذا من يُحببه الله تعالى ويغفر ذنوبه.

٦) يقول تعالى: **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾** آل عمران.

في هذه الآيات الكريمة يدعونا رب العالمين أن نسارع لكل ما يجلب لنا مغفرته لذنوبنا، وذكر لنا الصفات والأعمال التي نستحق بها المغفرة ومن ثَم جنة عرضها السماوات والأرض، وهي:

١. **يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ:** المنفقون في يسرهم وعسرهم، وفي أوقات السراء والضراء.
٢. **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ:** أي من لا ينفذون غضبهم على من أذاهم، بل يحلمون ويصبرون ويتعاملون بهدوء.
٣. **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ:** الذين لا يحملون في قلوبهم غلاً ولا غيظاً ممن آذاهم، بل يعفون ويتجاوزن الأمر فلا يترك لديهم أثراً يُذكر.
٤. **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ:** الله تعالى يحب المحسنين، الذين يفعلون كل ما سبق بإحسان، أي بأحسن وألطف وأرقى طريقة، هؤلاء يستحقون محبة الله تعالى، هذه صفة راقية يتصف بها ذوي القلوب السليمة.
٥. **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ:** كل ما سبق كانت تصرفات وأخلاق أصحاب الأعمال الصالحة، لكن في الآية الثالثة لم يحرم رب العالمين أصحاب المعاصي من مغفرته، فالمستحقون لمغفرته من أصحاب المعاصي، هم الذين إذا ما ارتكبوا فاحشة أو كبيرة من الكبائر، أو ظلموا أنفسهم فأوردوها ما لا يليق بها وما لا يحبه الله، ذكروا الله، ذكروا أنه موجود ويراهم وسيحاسبهم، فتذكروه وعلموا أنه هو وحده من يغفر الذنوب فدعوه أن يغفر لهم خطاياهم، ثم كفوا عن ارتكاب هذه الخطايا، فلم يصروا عليها سنين وسنين وهم يعلمون أنها ذنوب وآثام وأخطاء وفواحش.

هؤلاء هم من يغفر لهم الغفور الرحيم، هؤلاء جزاؤهم مغفرة من ربهم، ومن يغفر الله تعالى له، فقد اجتاز أصعب العوائق التي تعيق دخول الجنة، وهي الذنوب، فاستحقوا جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها.

وكل ما سبق، وصفه رب العالمين أنه عمل وليست مجرد صفات، هذا هو العمل الصالح الذي يرتضيه رب العالمين، والذي به يستحق من يعمله " وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ".

٧) يقول تعالى: **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣٩﴾ المائدة.

يغفر الله تعالى لمن يندم ويقلع عن الذنب، ثم يصلح ما أفسده بظلمه، هذه هى التوبة التي يتقبلها رب العالمين، والتي يستحق فاعلها هذه الجملة العظيمة (فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ)، فلا توبة بدون إصلاح ما أفسده ودمره بظلمه، إنما قبول التوبة والمغفرة بعد الإصلاح.

٨) يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾** الأنفال.

يغفر الله تعالى ذنوب وسيئات من يؤدي الأمانة، أمانة نفسه فيزكيها ولا يظلمها، أمانة اصلاح الأرض فيعمرها ولا يفسدها، أمانة زوجته فيسعدها ولا يقهرها، أمانة أولاده فيحفظهم ولا يضيعهم، أمانة ماله فيكسب حلالاً وينفق بالعدل والقسط، لا فخراً ولا سفهاً، أمانة بلده فلا يخونها، أمانة دينه فيستقيم عليه ولا يُحرفه... هؤلاء من يغفر لهم ربهم، ولديه من بعد المغفرة فضل عظيم.

٩) يقول تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴿الأنفال: ٧٤﴾

هذه الآية الكريمة تبين لنا معناً هاماً لابد أن نستصحبه في حياتنا ونقدر به أفعالنا، أن الله تعالى يغفر لمن عبر عن إيمانه بعمل صالح، فهؤلاء المؤمنون، منهم من هاجر وترك بيته وماله وراحته لكى يحافظ على دينه وينصر دين الله، ومنهم من استقبل هؤلاء وأحسن استضافتهم إكراماً لله ورسوله ونصرة لدين الله، هؤلاء عبروا عن إيمانهم بعمل صالح فيه حركة وإيجابيه وجهاد، وعدهم الله مغفرة ورزقاً كريماً، فمغفرة الذنوب تأتي بعد البذل والعطاء والجهاد والتحمل والمثابرة في سبيل الله تعالى، هؤلاء هم المؤمنون حقاً، هذا هو الإيمان الحق، ليس بالأقوال لكنه بالأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، هؤلاء هم من يستحقون مغفرة الله تعالى ورزقه الكريم في الدنيا والآخرة.

١٠)يقول تعالى: **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿التوبة: ١٠٢﴾

الاعتراف بالذنب من أفضل الصفات والأخلاق التي يتصف بها الإنسان، ومن أسرعها وصولاً لقبول الله تعالى للتوبة، ومن ثم مغفرة الذنوب. فالله تعالى يغفر لمن عرف دينه، وعرف ما يحبه ويرضاه، وهو يعمل الصالحات، فإذا ما ارتكب ما نهى الله عنه، فإن إيمانه وعلمه وحبه لرضا الله عنه، وكراهيته لما فعل، يجعله يسارع بالتوبة، هؤلاء هم من يقبل الله توبتهم ويغفر لهم.

١١) يقول تعالى: **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿النحل١١٩﴾

هو غفور رحيم للذين عملوا سيئات عن جهلٍ، لم يكونوا يعلمون أنه سبحانه نهى عنها وأمر بتجنبها، ثم علموا أنها سيئات وأن الله نهى عنها، فسارعوا بالندم والإقرار بعدم العودة إليها، وأصلحوا ما أفسدوه بجهلهم، فمن علامات صدق التوبة الإخلاص في إصلاح ما أفسدوه بأفعالهم، بدون الإصلاح لن تكتمل المنظومة التي أقرها رب العالمين والتي تؤدى إلى مغفرته ورحمته.

١٢) يقول تعالى: **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿الفرقان: ٧٠﴾

يسرد رب العالمين في عدة آيات صفات عباد الرحمن، ويبين لنا من منهم يستحق المغفرة إذا أخطأ، إنه من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، يبدل الله سيئاتهم حسنات، وللدكتور راتب النابلسي شرح جميل لهذه الآيات، ويقول:

" ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ العلماء يقولون: "التوبة لا بدَّ فيها من علمٍ، وحالٍ، وعمل"، لابدَّ من علمٍ أوجب الشعور بالذنب، وإذا شعرت أنك مذنب نشأت عندك حالةٌ تسمَّى: حالة الندم، حالة الندم هذه تفضي إلى التوبة، إلى العمل، العمل له ثلاثة أنواع؛ عمل متعلِّق بالماضي أي إصلاحٌ لما بدر منك في الماضي، وإقلاعٌ عن الذنب في الحاضر، وعزيمةٌ في المستقبل ألا تقع في هذا الذنب، هذه هي التوبة؛ علمٌ وحال وعمل، العلم يجب أن تقف عند حدود الله، يجب أن تعلم الحلال من الحرام وإلا لا تتوب، لا تكن التوبة إلا بعد العلم، والتوبة حال، هذا الحال ثمرة من ثمار العِلم، والحال سبب للعمل، العمل في الماضي يُصلح، وفي الحاضر يقلع، وفي المستقبل يعزم، إقلاعٌ وإصلاحٌ وعزمٌ وندمٌ وعلمٌ هذا معنى التوبة.

﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ هذه الآية تفسيرها سهل جداً، المؤمن قبل التوبة كيف يعامل الناس؟ بالقسوة، بالظلم، بالبذاءة، بالاستعلاء، بأكل المال الحرام، كيف يعاملهم بعد التوبة؟ بالاستقامة، بالرحمة، بالحلم، مثلاً زوجة كان زوجها ضالاً فاهتدى، بعد أن اهتدى أصبح يعرف حقَّها، وأصبح في غاية الأدب واللطف، في كل المصالح، الإنسان قبل التوبة متفلِّت، يريد المال من أي طريقٍ مشروع أو غير مشروع؛ لكن بعد التوبة صار وقَّافاً عند كتاب الله.

هناك سلوك قبل التوبة وسلوك بعد التوبة، لذلك هؤلاء التائبون أناسٌ آخرون، أنت إذا عرفت إنساناً قبل التوبة وبعدها تقول له: أنت إنسانٌ آخر، فلان الفلاني بعد التوبة غير فلان الفلاني قبل التوبة، هذا معنى قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ كان زوجاً قاسياً، أرعناً، يستخدم سلطته الزوجية استخداماً تعسُّفياً، بعد الإيمان صار زوجاً رحيماً، مثالياً، مُنصفاً في علاقاته مع أبنائه، كان أباً يؤثر نفسه على أولاده، بعد أن عرف الله صار يؤثر أولاده على نفسه، في أي علاقة، حتَّى في الحرفة كان غشَّاشاً فأصبح نصوحاً، كان يكسب مالاً حراماً فأصبح كسبه حلالاً، كان يزيد في السعر لكل إنسان يجهل هذه البضاعة فأصبح مُنصفاً، أي أصبحت سيِّئاته حسنات، أعماله السيئة التي كان يقترفها قبل الإيمان أصبحت أعمالاً صالحة." هؤلاء هم من يتقبل الله تعالى توبتهم ويغفر لهم."

إذاً لو أردنا نستعرض الذين ذكر لنا رب العالمين أنه سيغفر لهم، سنجدهم:

الذين إن أفاض عليهم بنعمه، فاستمتعوا بالمباحات وفق منهجه.

والذين يصحبون الاستغفار مع كل عمل صالح.

والذين يبذلون من أنفسهم وأموالهم في سبيله ويرجون رحمته.

والذين ينتبهون لوسوسة الشيطان الذي يعدهم الفقر عند الإنفاق، فيسارعون بالزكوات والصدقات والعطاءات، تصديقاً لوعد الله لهم بالمغفرة والفضل العظيم.

والذين يصدقون حبهم لله تعالى، باتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والذين يحققون كل هذا بإحسان.

والذين إذا ارتكبوا معصية، ذكروا رؤية الله لهم، وحسابه، فاستغفروا وتابوا.

والذين يتوبون من بعد ظلمهم ويصلحون ما أفسدوه بظلمهم.

والذين يؤدون الأمانة ولا يخونونها، وكل ما مكن الله تعالى الإنسان منه، فهو أمانة.

والذين يهجرون معيشتهم الرغدة لنصرة دين الله، والذين يستضيفونهم ويساعدونهم.

والذين يخلطون العمل الصالح بالسيء، فيعترفون بذنوبهم ويتوبون منها.

والذين يعملون المعصية بجهل، فلما يعلموا، يسارعون بالتوبة والاستغفار.

وللذين يتوبون ويؤمنون ويعملون عملاً صالحاً.

يتبين لنا من الآيات الكريمة أن **مغفرة الله تعالى للذنوب هى مكافأة على العمل الصالح**، فالاستغفار ليس عملاً قائماً بذاته، إنما هو المكافأة العظيمة لمن يعمل صالحاً ويبذل من ماله ووقته ونفسه فى سبيل الله تعالى.

٢. هؤلاء لن يغفر الله تعالى لهم.

١) يقول تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ** ﴿٩٠﴾ آل عمران.

الذين آمنوا رأوا الأمر على حقيقته، وعرفوا الدين، وعرفوا أن للكون إلهاً خالقاً، وأن هناك يوماً للحساب، من عرف كل هذا، ثم اختار الكفر به، سواء ظاهراً أو باطناً، أو كانت أفعاله كلها أفعال الكفرة الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا باليوم الآخر، ثم تمادوا في كفرهم فزادوا عليها أفعالاً فيها أذى وفساد ودمار، وصد عن سبيل الله، فأولئك لن يقبل الله توبتهم، ولن يغفر لهم.

لماذا؟ لأنه سبحانه يعطى مئات الفرص من قبل للتوبة، ويبعث آلاف الرسائل لحث المسلم على التوبة، فإن رفض الاستجابة لها، وازداد كفراً وبعداً عن منهج الله تعالى، فقد ختم على نفسه بالضلال.

٢) يقول تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾** النساء.

إنهم يؤمنون لتحقيق مصلحة، ثم يجدون الكفر سيحقق لهم مصلحة أخرى لا يحققها اظهار الإيمان، فيكفرون، ثم يجدون مصلحة يحققها لهم اظهار الإيمان، فيؤمنون، ثم يظنون أن مصلحتهم في اظهار الكفر، فيكفرون، ثم يزدادون كفراً بأن يزيدون على كفرهم أفعالاً وأقوالاً فيها أذى للمجتمع المسلم وفساد وصد عن دين الله... هؤلاء طمسوا على قلوبهم بأفعالهم فلم تعد تشعر ولم تعد ترى الحقيقة، هؤلاء لم يكن الله ليغفر لهم، ولن يهديهم لسبيل الإيمان، لأنهم اختاروا الكفر اختياراً، وسلكوا سبيله عمداً وإصراراً، هؤلاء هم المنافقون، الذين يتخذون سبيل الكفار ابتغاءً للعزة والمنعة، ويجهلون أن العزة عند الله تعالى وحده.

٣) يقول تعالى: **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴿التوبة: ٨٠﴾

هذه الآية الكريمة جاءت في حق المنافقين في كل وقت وحين، هؤلاء نوعية من المسلمين لكنهم ليسوا منهم، يُظهرون الإيمان والتقوى، ويبطنون الكذب والخداع، ينتهكون حدود الله إذ لا يراهم أحد، أو حين لن يستطيع أحد أن يحاسبهم، يخونون الأمانة، يضمرون الغدر وهم يعقدون الاتفاقات، مصرون على معاصيهم إذ يعتقدون أن الله لا يسمعهم ولن يحاسبهم، أولئك لن ينالوا مغفرة الله تعالى.

هذه هى نوعية من المسلمين الموجودة في كل عصر وفي كل مجتمع، وهذه الصفات لكي يحاسب كل مسلم نفسه، ويرى أين هو منها، حتى يسارع بالتوبة وعمل الصالحات واصلاح ما أفسد قبل الممات.

٤) يقول تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴿النساء: ٤٨﴾

في هذه الآية الكريمة يضع رب العالمين قاعدة مهمة جداً لمغفرته، إنه سبحانه لا يغفر أبداً لمن يشرك به، وهنا لابد أن تكون لنا وقفه مع معنى الشرك بالله تعالى لنتعرف على صفات من لن يغفر لهم الله تعالى.

إن حقيقة الشرك هى الاعتقاد أن هناك أي شيء سوى الله تعالى بيده نفعي أو ضري، أي شخص، أو وظيفة، أو جماعة، أو بلد أو سلطان أو مؤسسة أو....، يمكنها أن تنفعني أو تضرني من دون الله تعالى، يتعلق قلبي وعقلي وسلوكياتي بها، فأقدم على كل ما يرضيها ويجعلني محبوباً لديها، وأخشى من كل ما يجعلني مغضوباً علي، وأتبع قيمهم وأحكامهم ولو كان على غير مراد الله تعالى وطاعته.

يقول د. النابلسي في هذه الآية الكريمة: "ديننا دين التوحيد، ديننا كلمته الأولى: لا إله إلا الله، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، معنى التوحيد ألا ترى مع الله أحداً، معنى التوحيد ألا ترى رازقاً إلا الله، ولا قوياً إلا الله، ولا رحيماً إلا الله، أن الذي يعطي هو الله، والذي يمنع هو الله، والذي يرفع هو الله، والذي يخفض هو الله، والذي يعز هو الله، والذي يذل هو

الله، كفكرة سهل أن تفهمها، أما أن تعيشها فهذا يحتاج إلى جهد كبير جداً، يمكن بوقت قصير أن تستوعب معنى لا إله إلا الله، أما أن تعيش هذه الكلمة، حينما يأتي إنسان، ويضغط عليك، ولا ترى إلا أن الله سمح له، فرق شاسع بين أن تكون علاقتك معه، وبين أن تكون علاقتك مع الله، لذلك معظم أهل الأرض مؤمنون بالله خالقاً، لكن قلةً منهم تؤمن بالله مسيراً، تؤمن بالله فعالاً، تؤمن بالله أنه إله في السماء، وإله في الأرض، تؤمن أن الأمر كله بيد الله."

يقول تعالى: يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ **مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ** ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ الحج.

ويقول تعالى: وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ **مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ** ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ يونس

إن الشيء الوحيد الذي يجعل الإنسان يطيع آخر فيما يقوله وإن كان مخالفاً لما يحبه الله تعالى ويرضاه، أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنه قادر على نفعه وضره، وهذا هو الشرك، إن أي معصية لله نابعة من الاعتقاد أن هناك من دون الله من هو قادر على نفعه وضره، هى شرك بالله تعالى، فالشرك ليس أصناماً من الحجارة يعبدها المشرك، إنما هى أصنام من البشر يعتقد المشرك أنها قادرة على نفعه وضره، وبالتالي يرى أن طاعتها أولى من طاعة الله تعالى.

فكيف يغفر الله تعالى لهذه الشخصية!!! إنه يُعادل مع الله العظيم أحداً غيره لا يملك هو لنفسه نفعاً ولا ضرا، إنه لا يعتقد أن طاعته لله تكفيه كل شيء، لا يعرف صفات الله ولا أسمائه الحسنى، ولا يوقن بها ولا يحيا بها. هؤلاء هم من لا يغفر الله تعالى لهم إن أصروا على هذه الاعتقادات.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الغفار ونطبقه في حياتنا

ما هى صورة الإيمان باسم تعالى الغفار الذي هو ملكٌ رحيمٌ ودودٌ قريبٌ مجيبٌ واسعٌ عزيزٌ على كل شيء قدير..

أولاً: المداومة على الاستغفار

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ. فكثرة الاستغفار تقر في نفوسنا هذا الاسم العظيم وترزقنا عطاءاته.

ثانياً: اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام

يقول تعالى: **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾**آل عمران... علامة إيماننا باسم الله تعالى الغفار ورغبتنا في مغفرته، يجعلنا نهتم بأهم عمل في حياتنا وهو متابعة الرسول فيما جاء به من رب العالمين، نتبعه فيما جاء

به من رسالة القرآن، ونتبعه فيما حققه ونفذه في حياته من أخلاق القرآن، إن رغبتنا في أن نكون ممن يحبون الله تعالى، يمكننا قياسها من خلال مدى اتباعنا لرسوله الكريم، فإن اتبعنا الرسول فيما جاء به من رسالة ربه، أحبنا رب العالمين وغفر لنا الغفور الرحيم.

ثالثاً: سرعة الاستغفار وعدم الإصرار

يقول تعالى: **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾** آل عمران ..

نؤمن باسم الله تعالى الغفار بسرعة الاستغفار وعدم الاصرار على المعصية، فالتوبة والاستغفار بمجرد ارتكاب الذنب تعنى الإيمان باسم الله الغفار، والإيمان بأن لا غفار سواه، هذا الإيمان وهذا اليقين ثوابه عظيم عند الغفار، مغفرة وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين.

رابعاً: الحرص على الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه الكريم

هناك صفات وأعمال صالحة تجلب مغفرة الله تعالى.. وفي الأثر قصة معبرة: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " نلاحظ هنا أن هذا الراجل عمل عملاً صالحاً ولم يأت بالقصة أنه نطق بالاستغفار، لكن الله تعالى الشكور شكر له هذا العمل، وشكر الله يعنى مكافأته بالمغفرة. إن إيماننا باسم الله تعالى الغفور يجعلنا لا نستصغر عملاً لوجهه تعالى ولو كان تنظيف الشارع مما قد يؤذي الناس، عسى أن يتقبله الله تعالى فيغفر لنا ويدخلنا الجنة بهذا العمل.

وهذا العمل الصالح لضعفاء الحيوانات التي تجوب الشوارع فلا تجد من يطعمها أو يسقيها، عمل يجلب مغفرة الله تعالى، وهذه القصة المشهورة تبين ذلك: " غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ "، هذه المرأة لم يرها أحد، ولن يشكرها أحد أو يذمها، لكن قلبها مليء بالرحمة، والراحمون يرحمهم الرحمن، عملٌ خالصٌ لوجه الله تعالى لكلب ضعيف عطشان، غفر الله به ذنوبها وأدخلها الجنة.

خامساً: اتبع السيئة الحسنة تمحها.

المؤمن بالغفار سبحانه وتعالى، يحرص على اتباع السيئة بالحسنة ليغفرها الله تعالى له، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ الصَّلَاةَ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ أَوْ قَالَ حَدَّكَ " رواه البخاري.

من صفات المؤمن أن يوقن أن ربه واسع المغفرة، رحمته وكرمه ورغبته في مغفرته لعبده أكبر وأوسع مما نتخيل، لا تتطلب مغفرة الله تعالى أكثر من اعتراف وندم وتوبة، جاء لرسول الله عليه الصلاة والسلام معترفاً نادماً راغباً في تطهير نفسه بإقامة الحد عليه، ولن نستطيع أن نمر على كلمة " وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ " بدون التعليق على ألطف وأرق وأجمل وأحن معلم في البشرية، لنتعلم منه اللطف والستر وعدم التطفل والجمال كله.

نعود لهذا المؤمن صاحب التوبة الصادقة، اعترف بذنبه ويريد المغفرة من الغفار الرحيم، فرزقه المغفرة بألطف صورة، بإقامة الصلاة، بالعمل الصالح والدعاء وصدق التوجه له سبحانه، هذا هو تصديق المؤمنين بالغفار، حتى عند ارتكاب الذنب، يذهبون مباشرة له بعمل صالح ويسألونه المغفرة.

مثل موقف سيدنا موسى من قتل الرجل المصري بالخطأ... فقال: **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴿١٦﴾ القصص .. يكفيه الاعتراف والندم وعدم العودة، فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ. هذا هو إيمان الأنبياء الحق باسم الله تعالى الغفار.

سادساً: المؤمن باسم الله الغفار لا ييأس أبدا من مغفرة الذنوب مهما عظمت.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُ: **" يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا"** (ثم أضاف رسول الله) **وَلَا يُبَالِي** " أضافها لعلمه بربه العزيز الرحيم. صدقت يا حبيبي يا رسول الله عليك أفضل الصلاة ولك أتم التسليم.

سابعاً: المؤمن باسم الله الغفار يسير على الدرب الذي رسمه لنا الغفار.

يقول تعالى: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴿٨٢﴾ طه.

غَفَّار على وزن فعَّال، صيغة مبالغة لاسم الفاعل، شديد المغفرة، يغفر دائماً، يغفر كل ذنب مهما تعاظمت الذنوب.. لكن أن تعتقد أنه غفور رحيم من دون شروط فهذا نوعٌ من الضلال، تطالبه بالكف عن معاصيه والتوبة، فيقول لك (يا عم ربنا غفور رحيم)، وهو مقيمٌ على ذنبه، يعلمه ويفعله بجرأة وإصرار، وإني لغفار.. لمن؟.. لَمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ .

يقول د. النابلسي: " التوبة كما تعلمون نَدَمٌ، وإقلاعٌ، وعزيمةٌ، ندمٌ على ما مضى، وإقلاعٌ عن الذنب في الحاضر، وعزيمةٌ على ألاّ تقع في مثل هذا الذنب ما حييت، هذه هي التوبة، والتوبة تحتاج إلى علم، لذلك الجاهل لا يتوب، ذنب المنافق كالذُبابة، (يعنى هو يراها أمر تافه يتعامل معها بلا مبالاة)، وذنب المؤمن كالجبل يجثم على صدره. الجاهل لا يتوب، أما العالم فهو الذي يتوب، لذلك احضر مجالس العلم كي تعرف أين أنت من الدين؟ هل أنت في المقدمة، أم في الوسط، أم في المؤخرة، هل أنت على الصراطِ المستقيم، أم أنك بعيدٌ عنه؟ كيف تتوب؟ يجب أن تعلم موقعك من الدين، فالتوبة تحتاج إلى علمٍ أولاً، ومن لوازمها ندمٌ على ما مضى، وإقلاعٌ في الحاضر، وعزيمةٌ في المستقبل."

هذه هى التوبة التي لما يحققها المسلم ثم يعود فيذنب لضعف فيه ثم يعود فيستغفر، فيغفر الله تعالى له.

إذاً ربنا غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، عمل صالحاً لأن التوبة زيادة في الإيمان، والإيمان لابد أن يعبر عن وجوده بقلب المسلم بعمل صالح، عباده، طاعة، حسن خلق، ثم اهتدى.. أي يهتدى لله تعالى وإلى طريق الإيمان، فلا يتركه عمداً، لهذا فإن من علامات إيماننا باسم الله تعالى الغفار، التوبة والعمل الصالح واتخاذ القرار بالمضى قدماً في طريق الهدى.

رابعاً: التخلق باسم الله الغفار.

من أول وأهم الأخلاق التي يجب أن نتخلق بها يقيناً بهذا الاسم العظيم اسم الله الغفار، أن نغفر لأنفسنا، فالندم على الذنب واجبة، والتوبة والرغبة في عدم العودة من شروط المغفرة، لكن يجب أن يتوقف الإنسان عند هذا الحد، ولا يتمادى في لوم نفسه وتقريعها، بل يحسن الظن بالله تعالى الغفار، ويغفر لنفسه، ويحيا ويعمر ويجتهد بلا أحمال من ذنوب تعيقه.

يلي المغفرة للنفس، المغفرة للناس، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، قَالَ سَمِعْتُ جَرِيرًا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه الصلاة والسلام: " مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ، وَمَنْ لَا يَغْفِرْ لَا يُغْفَرْ لَه " مسند أحمد ابن حنبل. فلا توجد حياة إلا وفيها احتكاكات مختلفة بين الناس، إلا وفيها أشكال مختلفة من الألم والأذى والازعاج وسوء الفهم، وهذا يتطلب الكثير من العفو والتسامح والمغفرة، ولا يجب أن تعقب المغفرة عتاب ولوم وتقريع، فالتخلق بخلق الله تعالى الغفار، يعني بالضرورة ترك العتاب واللوم، فهو سبحانه لما يغفر، لا يعاتب ولا يلوم، إنما يغفر الذنب ويعفو كأن لم يكن.

فالمغفرة أول ما تكون للوالدين، فقد قدموا ما يستطيعون، وللزوج والزوجة تجاه بعضهم البعض، فأكثر الحيوات التي في حاجة للمغفرة، هى الحياة الزوجية، لما فيها من احتكاكات يومية تظهر فيها اختلافات كثيرة في حاجة للعفو والمغفرة، المغفرة للأولاد حين يكبرون ويبتعدون، وللأقارب حين تظهر غيرة الأنداد، وللجيران حين تختلف الشخصيات، وللزملاء في العمل حين تتضارب المصالح، وللناس عند المعاملات.. وهكذا.

يقول تعالى من صفات المؤمنين: وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ فالغضب هو المسبب الأول لعدم المغفرة والغضب يؤدي إلى الألفاظ السيئة، والرغبة في الانتقام، لذلك جعل رب العالمين من صفات المؤمنين به العاملين بصفاته، أنهم يغفرون عند الغضب.

يقول تعالى: **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٢٢﴾ النور.

إن المغفرة هى مكافأة رب العالمين لأصحاب الأعمال الصالحة.

وفي ختام الحديث عن اسم الله تعالى الغفّار، يتبين لنا أن هذا الاسم العظيم ليس مجرد معنى نردده أو صفة نعلمها، بل هو باب واسع من أبواب المعرفة بالله، وطريق من طرق إصلاح النفس والحياة. فالغفّار سبحانه يدعو عباده إلى ألا يقيموا في أسر الذنب واليأس، بل أن ينهضوا بالتوبة، ويجددوا العهد معه بالعمل الصالح والاستقامة والإحسان.

لقد أوضحت الآيات الكريمة أن مغفرة الله ليست أمراً عشوائياً ولا أملاً بلا عمل، وإنما هى ثمرة الإيمان الصادق، والتوبة النصوح، والإصلاح، ومجاهدة النفس، وبذل الخير، وصدق التوجه إلى الله تعالى. كما بينت أن رحمة الله واسعة، وأنه سبحانه يفتح لعباده أبواب العودة مهما كثرت الزلات، لكنه في الوقت نفسه حذّر من الإصرار، والغفلة، والظلم، والشرك، واتباع طريق الفساد.

ومن ثم فإن الإيمان باسم الله الغفّار يورث القلب أمناً بلا غفلة، ورجاءً بلا غرور، ويدفع الإنسان إلى أن يكون هو أيضاً صاحب عفو وصفح ومغفرة مع نفسه ومع الناس، طمعاً في مغفرة الله ورضوانه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المستغفرين التائبين، وأن يشملنا بواسع مغفرته ورحمته، وأن يرزقنا قلوباً تعرفه بأسمائه الحسنى، فتحيا بهداية أسمائه وصفاته، إنه سبحانه الغفّار الغفور الرحيم، وصدق الله العظيم:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

الفصل الرابع

الرزّاق

الرزاق

الحمد لله الرزّاق، ذي القوة المتين، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، يُعطي بحكمة، ويمنع برحمة، ويقدّر الأرزاق بعدلٍ لا ظلم فيه ولا نقص، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل السلام وله أتم التسليم، الذي أرشدنا إلى حسن التوكل، وجمال السعي، وصدق الاعتماد على الله في طلب الرزق.

إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ليس مجرد معرفةٍ نظرية، بل هو علمٌ يُثمر يقينًا، ويقينٌ يُثمر عملاً، ومن أعظم هذه الأسماء التي تمسّ حياة الإنسان في كل لحظة: اسم الله **الرزّاق**؛ ذلك الاسم الذي يملأ القلب طمأنينة، ويحرره من القلق والخوف على المستقبل، ويزرع فيه الثقة بأن ما كُتب له سيأتيه لا محالة.

وفي زمنٍ كثرت فيه المخاوف من قلة الرزق، وتعلّقت القلوب بالأسباب أكثر من تعلقها بمُسبِّب الأسباب، تبرز أهمية دراسة هذا الاسم الجليل؛ لنعيد ترتيب مفاهيمنا، ونصحح نظرتنا للحياة، وندرك أن الرزق ليس مالًا فقط، بل هو كل ما ينتفع به الإنسان من نعمٍ مادية ومعنوية.

ومن هنا يأتي هذا البحث ليُسلّط الضوء على اسم الله الرزّاق، من خلال بيان معناه في اللغة، واستعراض الآيات التي توضحه وما يتلازم معه من صفات الله تعالى، ثم بيان كيف نؤمن به إيمانًا حقيقيًا ينعكس على سلوكنا، وكيف نطبّقه في حياتنا، وصولًا إلى التخلّق بهذا الاسم بقدر ما يليق بالعبد.

نسأل الله تعالى أن يفتح لنا من خزائن رزقه، وأن يرزقنا فهمًا صحيحًا لأسمائه الحسنى، ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لنا في دنيانا وآخرتنا.

نبدأ بتقسيم المحتوى إلى عدة نقاط:

أولاً: معنى الرزاق في اللغة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله تعالى الرزاق وما يتلازم معه.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الرزاق ونطبقه في حياتنا.

رابعاً: التخلق باسم الله الرزاق.

أولاً: معنى اسم الله الرزاق في اللغة

الرِّزْقُ هو كل ما يُنْتَفَعُ به.. رَزَقَهُ رِزْقاً: أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، مَنَحَهُ وَأَكْسَبَهُ إِيَّاهُ.. الرَّزَّاق: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، أي الَّذِي يَرْزُقُ كُلَّ كَائِنٍ حَيٍّ.. المُفيض بالنِّعم نعمةً بعد نعمة، المُكثِرُ المُوسِّعُ على عباده.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله تعالى الرزاق وما يتلازم معه.

على مستوى البشر، من الذي نلجأ إليه ونثق به أن يعطينا ويرزقنا؟

نحن نلجأ ونثق في الغنى الكريم القوى القادر، غناه يعنى أنه يملك المال الذي يمكنه من أن يعطينا، وكرمه يعنى أنه يعطينا بكثرة وأنه كلما سألناه أعطانا، وقوته تعنى أنه قادر على اتخاذ القرارات وتنفيذها، وتعنى أن لا أحد يمكنه الاعتراض عليه ولا منعه من أن يعطينا.

سنرى هذه الصفات وغيرها كيف ستكون صورتها بحق رب العالمين، فلنتعرف على الآيات التي تبين ما يتلازم وما يوضح لنا اسم الله الرزاق.

الآية الأولى:

يقول تعالى: **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴿٢١﴾ الحجر.

هو وحده من عنده خزائن من كل شيء نتخيله ونرجوه، عنده سبحانه خزائن المال والصحة والأولاد والسلطة والجاه والعقارات والسيارات والأراضي...، هى ملكٌ خالصٌ للملك سبحانه، عنده خزائن مليئة منها، فربنا الرزاق ملك غنى، فيمكننا أن نطمئن أن عطاءه مستمر لأن يملك خزائن كل شيء ولا تفنى خزائنه ولا تنفد.

الآية الثانية:

يقول تعالى: **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴿٦﴾ هود.

هو من يرزق كل دابة من النملة وأصغر، إلى الحوت الضخم الذي يزن مئة وخمسين طنًّا، وطوله أربعون مترًا، وفيه خمسون طنًا دهنًا، وخمسون طنًا لحمًا، وتسعون برميل زيت وأكلته العادية حوالي ثلاثة أطنان، هذا الحوت كتب الله تعالى له رزقه كاملاً وساقه إليه، وهذا حتى لا نعتقد أنه سبحانه لما يعطى رزقاً واسعاً، أو يضيق رزقاً، أن هذا له علاقة بما يملكه، إنما هو يعطى بحكمة من يشاء ما يشاء وقتما يشاء، ومشيئته هى الخير كله، يرزق كل إنسان ما يصلحه.

الآية الثالثة:

يقول تعالى: **مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾** فاطر.

مما يتلازم مع اسم الله الرزاق ويوضحه، أنه عزيز حكيم، عزيز، إذا حكم لأحد برزق لا يمكن لأحد أن يمسكه عنه، وإذا حكم بمنع الرزق، لا يمكن لأحد منحه. هو سبحانه يحكم ولا راد لحكمه لأنه العزيز، الغالب الذي لا غالب له، وهو سبحانه يحكم بهذا ولا راد لحكمه، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في أحسن موضع لها، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه الصلاة والسلام: " إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ " صحيح ابن حبان. فما كتبه الله تعالى لعبده من الرزق سيطلبه أينما كان، هذا يجعلنا لا نحزن على ما

فاتنا من الرزق، لأنه لم يكن رزقنا، مهما لمنا أنفسنا على أننا لم نتقدم قليلاً أو نتأخر، أو نقول كذا أو لا نقول، أو لو كنا قابلنا فلان أو علان.. كل هذه ظنون وأوهام غير حقيقية، فما دام الإنسان قد اتخذ كل أسبابه، فليهدأ قلبه أن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. فما كان لأحد أن يمنع عنه رزقاً قد كتبه الله له، وما كان لأحد أن يرزقه برزق لم يكتبه الله له، لقد أخذ رزقه الذي كتبه ربه له كاملاً، وهو أحسن رزق.

ومن نعم الله تعالى علينا أن الرزاق هو الخالق، فمن خلق هو من يعرف حالك ومالك وحديثك لنفسك وما فعلته وما تتعرض له وما أنفقته وما ادخرته وما تصدقت به وما أهديته، هو الذي يعرف حقيقة ما تعانيه وحقيقة ما تريده وحقيقة ما تتعرض له من ضغوط، هو سبحانه الذي تناجيه داخل نفسك فيجيبك ويرحمك ويعطيك ويرزقك.

إذاً مما يتلازم مع اسم الله تعالى الزراق أنه عزيز حكيم، وأنه هو الخالق، هذه صفات تطمأننا على أن رزقنا الذي كتبه ربنا لنا، لن يستطيع أحد يمنعه عنا، والذي ليس لنا، لن يستطيع أحد أن يمنحه إيانا، فحُكمه بالعطاء أو المنع هو أحسن حكم وهو خير لنا في الدنيا والآخرة.

الآية الرابعة:

يقول تعالى: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾** إبراهيم.

مما يتلازم مع اسم الله الرزاق ويبينه، أنه الخالق سبحانه لكل أدوات السعي في الرزق، خلقها كاملة على أحسن حال، كل من يستخدمها سوف يحصل على كل ما سأل. ربنا ذكر لنا عناصر الطبيعة التي سخرها لنا، الماء الذي أنزله من السماء فأخرج به النبات، والفلك التي تجري في البحر، وحركة الشمس والقمر الدائمة بانتظام، وتوالي الليل والنهار، كلها نعم لكي نستخدمها ونتخذ الأسباب في تحقيق مرادنا من خلالها، فإذا أحسنا استخدام هذا التسخير، وطبقنا قانون الرزق الذي سنذكره لاحقاً، فقولاً واحد ربنا سيحقق وعده برزقنا بكل ما نسأله.

الآية الخامسة:

يقول تعالى: **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾** آل عمران.

ويقول تعالى: **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴿٣٨﴾ النور.

يرزق من يشاء بغير حساب، رزق بدون توقع وبدون حدود، سواء كماً أو كيفاً، لكن مَن **يَشَاءُ** هنا من المقصود به ربنا أم العبد؟ نستطيع أن نقول الأثنين، الله تعالى بمشيئته وإرادته يرزق العبد الذى يشاء الرزق، لكن مشيئته سبحانه تقوم على أن يشاء العبد

أولاً بمعنى العمل واتخاذ الأسباب، لكن في آية السيدة مريم يبدو لنا أن الرزق جاءها وهي في حجرتها، فلم تتخذ أسباب الرزق التي نعرفها، لكنها أحسنت فيما أقامها الله تعالى فيه، فهنا مشيئتها في الرزق قائمة على يقينها وإيمانها وعلمها وصدقها وصدقاتها وعطفها على الفقراء، فأبدلها الله تعالى خيراً مما أنفقت من وقتها وجهدها وصدقاتها، رزقاً بغير حساب، رزق بدون توقع وبدون حدود، هذا هو رزق الرزاق للصالحين ولكل من يسأله بصدق.

الآية السادسة:

يقول تعالى: **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾** الطلاق.

يعلق د. النابلسي على هذه الآية العظيمة بقوله: "ماذا تفيد كلمة **(مَخْرَجًا)**؟ يجعل الله له مخرجاً، لم يكن هناك مخرجاً، أي أن القضية محيطة، حلقات مغلقة، لو كان هناك مخرجاً لا يوجد حاجة لكي تبحث عن مخرج، لو أن الباب مفتوح لا تبحث عن مخرج، لكن متى تبحث عن مخرج؟ إن رأيت الأبواب كلها موصده، وضاقت نفسك، إذاً الإنسان أحياناً يوضع في ظرف صعب، يوضع في ظرف يتوهَّم أن كل الأبواب موصده، يوضع في ظرف يتوهَّم أن مشكلته ليس لها حل؛ أن دخله لن يزيد، أنه لن يجد عملاً، أنه لن يوفق إلى زواج، أنه لن يشتري بيتاً، أنه لن يصبح كغيره من الناس، يبدو أن الأمر مستعصٍ، الأمر مغلق، الأمر لا يظهر له فرج."

متى يوجد الله للمؤمن مخرجاً من الهم والغم وقلة المال وتعاسة الحياة الزوجية وعقوق الأبناء ووو..؟ عندما يكون من المتقين، بمعنى أنه يراعي ما يرضي الله تعالى وما أمر به عند كل كلمة وكل خطوة وكل قرار، حتى لو لم يره أحد أو يشكره أحد أو يذمه أحد، يعمل ما يُرضي الله تعالى، لله فقط، هذا المؤمن هو الذي يجعل الله تعالى له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً.

ثم بقية الآية الكريمة: **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.** لماذا من حيث لا يحتسب؟ ماذا لو رزقه من حيث يحتسب، هذا حتى يعطينا ربنا أمل في الفرج والرزق لا نهاية ولا حد له، أبعد من أبعد تصوراتنا، يجعل المؤمن في حالة تفاؤل دائماً، حتى لو لم يكن يرى أي طريق للرزق يعرفه، يؤمن أن هناك طريقاً ربانياً لا يعرفه، سيأتيه الرزق منه.

هذه صفة رزق الرزاق للمتقين، أنه من حيث لا يدروا ولا يحتسبوا، صفة ليس لها مثيل عند أى جهة يتصور المؤمن أنها قد ترزقه.

الآية السابعة:

يقول تعالى: **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾** الجمعة.

ويقول تعالى: أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ المؤمنون.

لماذا ربنا هو خير الرزاقين؟ لأسباب لا تعد ولا تحصى، لكن نأخذ أهم سبب وهو أن رزق الله تعالى للمؤمنين هو رزق ممتد من الدنيا إلى الآخرة، فمن يكسب حلالاً ويكافح بشرف وأمانة وينفق فيما يحبه الله ويرضاه، يرزقه الرزاق في الدنيا نتيجة عمله، ثم وهذا هو

الأهم، يرزقه ثواب سعيه وكسبه الحلال ثواب عظيم في الآخرة. وربنا قال خير الرزاقين كأن هناك رازقين آخرين وهو خيرهم سبحانه، فهناك من تأخذ منه أجرك، فهذا يرزقك، وهذا الرزق لابد وأن ينقطع، لكن الميزة التي سينفرد بها رزق الله والتي لا توجد عند أى جهة أو شخص تعتقد أنه يرزقك، أن رزقه سبحانه لا ينقطع، فهو ممتد من الدنيا إلى الآخرة، فهو رزق دائم لا ينقطع أبداً، له صفة الخلود. **وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى.**

الآية الثامنة:

يقول تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾** الذاريات

الله تعالى لا يريد منكم رزقاً ولا إطعاماً، بل هو سبحانه الذي يريد أن يرزقكم، ويريد منكم أن تثقوا في أنه الرزاق لأنه {..**ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**} متَّن الشَّيءَ: صيّره متينًا، جعله صلبًا قويًّا، جعله شديدًا راسخًا. أي أنه سبحانه يملك القوة كلها، قوة الأمر وقوة التنفيذ، والمتين تعنى قوة العطاء المستمر لأزمنة طويلة ولأعداد كثيرة، وكل العطاء بنفس القوة والكفاءة والاستمرارية.

وقيل المتين: هو الكامل القوَّة، الذي بلغت قدرته أقصى الغايات ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماوات، الله قويٌ متين، أي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جندٍ أو مدد ولا إلى معينٍ ولا إلى من يعضده، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قويٌ بذاته، متينٌ بذاته. فالرزاق يطمئننا أنه قوي متين، فاطلبوا ما تريدونه، كماً وكيفاً، فربنا هو الرزاق ذو القوة المتين.

إذاً مما يتلازم مع اسم الله تعالى الرزاق، أنه الملك وأنه الغنى وأنه الخالق، وأنه العزيز الحكيم، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب، وأنه يرزق من حيث لا نحتسب، وأنه خير الرازقين، وأنه القوى المتين، سبحانه وتعالى.

**** قانون السيدة هاجر**

إنه قانون جلب الرزق، سنستعرضه من خلال القصة المعبرة لستنا وحبيبتنا السيدة هاجر المصرية أم العرب، عن ابْنُ عَبَّاسٍ "جَاءَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأُمِّه وَهِيَ تُرْضِعُهُ، ووَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، وَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلا شَيْءٌ؟ قَالَتْ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: **إِذًا لا يُضَيِّعُنَا**، ثُمَّ رَجَعَتْ وَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْبَيْتِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾إبراهيم)، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَاعَ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، فَانْطَلَقَتْ (تحركت تبحث عن حل لمشكلتها)، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ، هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ،(الوادي الذي هو طريق بين جبلين) ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ، سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا.. ثُمَّ تَسَمَّعَتْ أَيْضًا فَسَمِعَتْ، فَقَالَتْ: قَدْ أُسْمِعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهِيَ تَفُورُ بِقَدْرِ مَا تَغْرِفُ، فَقَالَ النَّبِيُّ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، وَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لا تَخَافِي مِنَ الضَّيْعَةِ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلامُ وَأَبُوهُ، **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ** ".

هذا الموقف الرائع وهذه القصة الإيمانية الراقية نتعلم منها الكثير عن قانون الله تعالى للرزق، إنه سعى ستنا هاجر سبع مرات في أرض جرداء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء ولا بشر ولا حيوان.

ماذا تفعلين؟ ما قيمة السعي في هذه الظروف التي لا يظهر فيها أي أثر لإمكانية وجود ماء ولا مغيث؟

رضى الله عنك وأرضاك يا أمنا وستنا، بدلاً من أن تجلس بجانب ابنها الوليد الجائع العطشان، تندب حظها وتبكي لحالها، تماسكت وعملت عملاً عظيماً فرضه علينا رب العالمين كركن من أركان الحج والعمرة لكي نتعلم من هذه المرأة الصالحة، وهو السعي بين الصفا والمروة سبع مرات، على خطى ستنا هاجر، نسعى مثلما سعت في نفس مكان سعيها وبنفس الطريقة.

هنا تظهر لنا الحكمة من فرض هذا السعي مع كل عمرة وحج، وهو أن نتعلم منها قانون الرزق، وهو يتكون من النقاط التالية:

إنها **أولاً:** ارتضت البقاء بالمكان الذي أقامها الله تعالى فيه. ثم **ثانياً:** هذا الرضى لم يمنعها من الحركة لحل مشكلتها والسعي لوضع أفضل. **ثالثاً:** سعت بكل جهدها سبع مرات ليست مرة ولا اثنتين وقالت يكفيني هذا، فلا فائدة تظهر، لا، سعت سبع مرات بالرغم من انعدام أى إشارة لنجاح سعيها. ثم **رابعاً:** أن الرزق لم يأتها من حيث تحركت وسعت، إنما أتاها من حيث لم تحتسب، (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) أتاها عند موضع زمزم وهو على مسافة من الصفا والمروة. و**خامساً:** المفاجأة أو المكافأة أن الرزق جاء أحسن مما طلبت وتصورت مليار مرة، كانت تريد بعضاً من الماء يكفيها وابنها، فرزقها الله تعالى ـ برضاها وسعيها وإيمانها ـ عينٌ تدر الماء إلى يوم القيامة، وجعلها الله تعالى من مناسك العمرة، نشرب منها بعد الطواف وقبل السعي، كام مليار إنسان شرب ومازال يشرب منها، ولها أجرها. **سادساً:** أن الرزق يأتي لمن يسعى، يقول تعالى: **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾** النجم. الرزق يأتي لمن يقوم ويسعى ويتحرك في سبل الرزق وينشط ليحصل عليه، ولا يأتي لمن يرفع يديه بالدعاء وهو جالس متعطل بليد.

لكن يمكننا أن نتساءل، لماذا لم يرزقها ربنا مباشرةً وسريعاً بدون بكاء الوليد وألمه وألمها من العطش، وبدون الجري والتعب؟

الإجابة، لأن هذا ليس بقانون الرزاق لتحصيل الرزق، ليس بسنة الله تعالى في الأرض، فكان لابد أن تأتي بسعي بقدر استطاعتها، فيرزقها الله تعالى. مثل قصة ستنا مريم رضى الله عنها وأرضاها.. يقول تعالى: **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾** مريم.. بالرغم من أنها في غاية التعب والإرهاق، كان يمكنه سبحانه أن يرزقها الرطب مباشرة بدون **"هُزِّي"**، لكن قانون ربنا لابد من تطبيقه في كل الأحوال، حتى على العابدة الصالحة التي اصطفاها، لابد أن تبذل قصارى جهدها، وقصارى جهدها في وضعها هذا أن تهز النخلة هزه بسيطة، فالرزاق الرحيم يرزقها الرطب الجميل.

إذاً قانون السيدة هاجر: أننا لو في طاعة لله تعالى، وقدر الله لنا مكاناً ما أو ظرفاً ما نتواجد فيها، مهما رأينا من صعوبات وبعداً للأمل في الحصول على ما نحتاجه ونريده، فعلينا بالسعي الدؤوب الشريف المحسن بكل ما نمتلك من أدوات فيما أقامنا الله تعالى فيه، مع السعي الدائم أيضاً لتحسين أوضاعنا والارتقاء بحياتنا.

فمثلاً لو الكلية التي دخلتها لم تحقق رغبتي، لكن هى التي اتيحت لي، لا أظل غضبان ومتأسف أن الدنيا رمتني في هذه الكلية، وأُحبط وأترك السعي والبذل، بل أحقق قانون الرزق، فأتقبل ما أنا فيه، ثم أبذل فيها قصارى جهدي، وأسعى للحصول على أعلى الدرجات، فيرزقني الله من عنده ما تمنيت وأكثر.

ولو هذا البيت لا يحقق أمنياتي، لا أظل أشتكي حالي، وأشعر بأني أقل من الآخرين، بل أحقق قانون الرزق، أعمل على أن أحيا بهذا البيت بقدر المستطاع أطيب حياة، ثم أسعى للحصول على ما أريد بالعمل الجاد وزيادة دخلي، فيرزقني خيراً مما رجوت.

ولو الوظيفة التي توفرت لي ليست مناسبة لمؤهلاتي، لا أشعر بالفشل والاكتئاب، لكن أحقق قانون الرزق، فأتقبل أولاً ما أنا فيه، ثم أعمل بجد وأمانة واتقي الله في معاملاتي وأبذل قصارى جهدي، فيرزقني ما أصبو إليه وأكثر.

ولو حدثت هزيمة لا قدر الله لجيش من المسلمين، لابد أن اتبع قوانين الله تعالى في استجلاب رزق النصر، ومن هذه القوانين، اخلاص النية الكاملة لله تعالى، فلا قتال إلا في سبيل الله تعالى وفقط، لا لأي أغراض أخرى، وعدم التفرق وعدم التنازع، وبذل كامل الاستطاعة والجهد فيما هو متاح من العدة والعتاد...

وهكذا في كل محطات الدنيا، لكل موقف قانون الرزق الخاص به الذي يجب أتعامل مع الرزاق بقانونه، لكي أفوز بوعده بالرزق الواسع الحلال الطيب.

**** ولكي نستزيد من فهم اسم الله الرزاق، سنستعرض نقطتان:**

النقطة الأولى: أنواع الأرزاق (المادي ـ المعنوي)

أولاً: الرزق المادي

هو ما رزقنا الله تعالى من مقومات الحياة، وما سخره لنا من كل نحتاج إليه من عناصر الطبيعة، نِعم الله تعالى وعطاءاته التي لا تعد ولا تحصى، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، وهذا الرزق نتحصل عليه من خلال تطبيق ما ذكرناه من (وآتاكم من كل ما سألتموه) والسؤال الحق الذي يُنتج إجابة الله تعالى له، يكون من خلال تطبيق قانون (السيدة هاجر).

ثانياً: الرزق المعنوي

إنه رزق الرزاق من العلوم والأفهام والهداية، يقول تعالى على لسان سيدنا شعيب عليه السلام وهو ينصح قومه: **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾** هود.

فهو عليه السلام على بينة وعلم بربه، لأنه رزقه العلم الذي هداه للصلاح والإصلاح، فلما رزقه الله تعالى العلم والهداية، توجه إلى قومه بهذا الرزق الحسن، لكنهم رفضوا رزق الرزاق، فالله تعالى يرزق العلم والهداية كما يرزق الطعام والشراب، بنفس قانون السيدة هاجر، كما يسعى الإنسان على الطعام والشراب ليحصله، فيرزقه الرزاق ما سعى له، فإنه لما يسعى في طلب العلم والهداية، يرزقه الرزاق ما سعى واجتهد فيه ويزيده من فضله، لكن الناس تسعى في رزق الأكل والشرب، وتزهد في رزق العلم والهداية.

يقول العلماء: " رزق الأبدان بالأطعمة ورزق الأنفس بالمعرفة " فإذا كنا نعلم أن ما يُصلح الأبدان هو رزقها من الأطعمة، فإن ما يُصلح الأنفس هو رزقها من المعرفة والعلم، بدون رزق الأطعمة الأبدان تمرض وتموت، وبدون رزق المعرفة الأنفس تمرض وتموت.

عن أَبُي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه عليه الصلاة والسلام يَقُولُ: " إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، إِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ:

عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ فِيهَا مَالا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْمَلُ لِلَّهِ فِيهِ بِحَقِّهِ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ،

وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالا عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ،

وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَتَخَبَّطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلا يَعْمَلُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ،

وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالا وَلا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالا عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ فَهِيَ نِيَّتُهُ وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ " جامع الترمذي. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

يشرح لنا رسول الله أن أهل الدنيا لا يخرجون عن أربعة أصناف، الأول رزقه الله تعالى علماً ومالاً، وهنا رزق الله تعالى لم ينزل عليه من السماء بلا قانون أو استحقاق، إنما تم بعد ما اتبع قانون "السيدة هاجر" في تحصيل العلم والمال، فسعى وبذل من وقته وجهده في سبيل تحصيل العلم، فرزقه الله تعالى العلم، وبذل من جهده في تحصيل المال الحلال، فرزقه الله تعالى رزقاً واسعاً من المال، وهذا الأفضل مكانة، ليدلنا ذلك على أن العمل وتعمير الأرض وكسب المال يرضاه الله ويحبه لعبده.

ومن بذل في سبيل العلم ولم يبذل في سبيل تحصيل المال، رزقه العلم ولم يرزقه المال، لكن لأنه عرف دينه وتعلم، أحب ما كان يفعله صاحب المال من الإنفاق وكان يرجو لو كان معه مال فينفق مثله، فهو معه بهذه النية.

ومن بذل في سبيل المال ولم يبذل في سبيل العلم، رزقه المال ولم يرزقه العلم، لم يتعرف على هدى ربه ولا على دينه، ولا كيف تكون حياته طيبة، ولا ما الذي يحولها لمعيشة ضنك، فخاض في المال، يكسبه من حرام وينفقه في الحرام، فهذا في أسواء مكانة عند الله تعالى.

ثم هناك من لم يبذل في أي منهما، فلم يؤت المال ولا العلم، لكنه لجهله وبعده عن هدى ربه، يتمنى لو أن لديه مال فيتصرف فيه كما يتصرف ذلك السابق، فهو معه.

هنا يدلنا رسول الله على أن رزق الهداية يحتاج البذل والمجهود كما هو رزق المال، فالله تعالى لا يختار فئة معينة ينزل عليها الهداية والعلم والمال ويترك فئات أخرى، بل يعطى كل إنسان بقدر ما بذل فيما يريد.

كما أن هناك ملحوظة هامة جداً في هذا الحديث، وهى أن الرزق الطيب الحلال من المال، لا يأتي إلا بالعلم الحقيقي بالله تعالى وبمنهجه، فأول نوعين في أفضل مكانة بالعلم.

في كل ما سبق تكلمنا عن رزق الله تعالى لمن آمن به، فهل يرزق الرزاق من كفر به؟

** رزق الرزاق لمن كفر به

يقول تعالى: **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾** البقرة.

فمن كفر بالله تعالى له رزقه أيضاً سيأخذه كاملاً في الدنيا مقابل عمله وجهده، لكنه محروم من رزق الآخرة لأنه ببساطة لم يطلبه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا " صحيح مسلم.

فلا يجب أن نعتقد أن الرزاق يرزق المسلم فقط ويترك الكافر، ليست هذه قوانين الرزاق، بل أحياناً يكون رزق الكافر أكثر بكثير لعدة أسباب منها، أن الكافر اتبع قانون ستنا هاجر والمسلم اتبع قانون الكسالى.

ويقول تعالى: **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾** هود. أى إنسان وإن كان كافراً سيُحسن عمله ويريد به كسب الدنيا وتحقيق مصلحة فيها، سيرزقه الرزاق ما عمل له في الدنيا وفقط، ولن يبخسه حقه أبداً، هو عمل للدنيا، سيأخذ رزقه كاملاً في الدنيا.

فالرزاق يرزق الكافر والمؤمن، لكن المؤمن لما يسعى ويتحرك في الدنيا لأن الله تعالى أمره باتخاذ أسباب الرزق، فهو يسعى ويريد بعمله صلاح دنياه وآخرته، فالرزاق يرزقه رزق الدنيا والآخرة، فميزه رزق المؤمن إنه ممتد إلى الآخرة، بينما رزق الكافر مقطوع على الدنيا.

ويقول تعالى في هذا المعنى: **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾** الشورى..

من عمل للآخرة، فاتقى وأطاع بحب وتعظيم في عمل الدنيا، فإن القوي العزيز يزيد له في نتاج عمله ويضاعفه له، ومن أراد الدنيا وفقط واتخذ أسبابها، فسوف يؤتيه الله ما يستحقه مقابل عمله، لكن ليس له نصيب في الآخرة لأنه لم يردها ولم يعمل لها.

وهناك أمثلة كثيرة بالقرآن الكريم على هذا المعنى، لكننا سنكتفي بهذه الآيات الكريمة للدلالة على أن الله تعالى يرزق جميع خلقه في الدنيا المؤمن به والكافر، أما رزق الآخرة فهو للمؤمنين به وباليوم الآخر.

يقول تعالى: **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾** الأعراف.

النقطة الثانية: مهمة الأرزاق في أقدار الله تعالى

جعل الرزاق الرزق مادة للامتحان، كل أنواع الرزق، سواء كان رزقاً لا يد لنا فيه، مثل رزق الخِلقة والأسرة والبلد.. وما إلى ذلك، وهذا الرزق امتحانه في كيفية استقباله فقط. أما الرزق المنوط بنا، الذي لنا يد فيه، فهو رزق يكتسبه الإنسان من خلال حركة حياته، وامتحانه من خلال كيفية كسبه وانفاقه، ويجعل الله تعالى زيادة الرزق أو قلته، امتحان وابتلاء..

١) يقول تعالى: **فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا**.. فزيادة الرزق والإكرام والنعم، ليست دليل على إكرام الله لهذا الإنسان، وتقدير الرزق وقلته ليس بدليل على إهانة الله لمن قلل له رزقه، بل كلاهما امتحان وابتلاء، امتحان لمن رزقه الله رزقاً واسعاً، كيف سيستقبل هذا الرزق، هل سيطيع الله تعالى فيه أم سيسير فيه بهواه. وامتحان لمن قدر عليه رزقه، هل سيتقي الله ويسعى في الرزق الحلال حتى يغنيه الله، أم سيسير بهواه فيسرق ويخون الأمانة بحجة قلة الرزق.

٢) يقول تعالى: **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾** النحل.. فالرزاق أرسل الرزق الوفير للقرية الآمنة المطمئنة، وكان أمنها واطمئنانها يأتي من أنها

تعرف سنن الله وتتبعها، لكن زيادة الرزق أطغاهم، فكفروا بأنعم الله، لم يعد أهلها يسيرون على سننه ولم يعودوا يؤدون شكر هذه النعم، وتمادوا في معصية الرزاق، فُحرموا رزق الطعام، فجاعوا، وحُرموا رزق الأمن، فعاشوا في خوف. فهنا شح الرزق كان عقاباً لقرية كفرت بأنعم الله.

٣) يقول تعالى في هذا المعنى: **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾** سبأ.

قصة سبأ مثل قصة القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزق الرزاق، لقد أعرضوا عن طاعة الله وعن دينه وشرعه، فعاقبهم بحرمانهم من الرزق، وتبدلت الحدائق المزهرة بكل الخيرات، لحدائق جرداء، تنمو بها نباتات شوكية لا نفع فيها.

٤) يقول تعالى: **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾** الأعراف.

تدل الآية الكريمة على أن أهل القرى لو كانوا آمنوا واتقوا لرزقهم الله تعالى من أطايب الرزق، لأن من الإيمان الأخذ بالأسباب التي وضعها الله تعالى لزيادة الأرزاق، والمؤمنون هم الذين ينشؤون المجتمعات الآمنة التي يأمن فيها الناس على أموالهم وحياتهم، هذه المجتمعات هي التي يفتح عليها بركات من السماء والأرض.

أما لما يُكذب الناس بهذه الأسباب ولا يتبعوها، بل يحاربوها ويحتكروا ويمنعوا الخير عن الناس، فيفسدوا في الأرض، ويكذبوا ويخونوا ويسرقوا ويشقوا على من يتعامل معهم.. ويصبح المجتمع غير آمن، فإن سنة الله تعالى لابد أن تتحقق فيُحرموا من بركات السماء والأرض، ويأخذهم بما يستحقونه.

٥) كذلك فتح أبواب الرزق قد يكون امتحان شديد الصعوبة نتيجة الاستمرار والاصرار على المعصية، يقول تعالى: **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾** الأنعام. فهؤلاء تمادوا في معاصيهم وتناسوا تماماً ما أمر الله تعالى به، ففتح الله لهم كل أبواب الرزق، كل أشكال الرزق وأنواعه، حتى أننا نذهل من هذا الفتح بكل هذه الأرزاق مع كل هذه المعاصي، لكنها عند الله استدراج حتى يأخذهم بغتة وهم في أوج فرحهم وغرورهم.

٦) وأحيانا الرزاق الحكيم يرزق الرزق الواسع أو يقلله لمصلحة دنيانا وآخرتنا، يقول تعالى: **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾** الشورى.

لهذا فإن الرزاق سبحانه له في رزقه حكم عديدة، فهو الرزاق العليم الحكيم، يضع كل قدر في أحسن موضع وبأحسن صورة وفى أحسن وقت، فالأرزاق قد تكون مكافأة وقد تكون عقوبة لكنها امتحان في كل الأحوال.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الرزاق ونطبقه في حياتنا

١)نؤمن بهذا الاسم ونطبقه في حياتنا لما **نعبد الرزاق وحده**، ونطلب الرزق منه وحده، ونحقق قوانينه، ونتخذ أسبابه، ونحمده ونشكره وحده، ويكون للرزاق المكانة الأولى في حياتنا وقلوبنا، يقول تعالى: **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾** البقرة. يدعونا الرزاق ألا نجعل معه أنداداً أى أمثالاً نعتقد أن بأيديهم أرزاقنا، إنما هى بيد الله وحده.

ويقول تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾** الذاريات. فالله تعالى خلقنا لنعبده بمعنى أن نتعرف عليه ونسعد بهذه المعرفة في الدنيا والآخرة، والعبادة هي اتخاذ الأسباب واتباع القوانين التي وضعها الله تعالى لإعمار الأرض واستجلاب رزق الله تعالى، والعبادة كما عرفها العلماء هى طاعة طوعية، فطاعة لله تعالى لا يجبرك عليها أحد، طاعة صادرة من حبك لله تعالى ومعرفتك له وثقتك فيه، فهى طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينية، فلا طاعة إلا عن علم وتصديق ويقين بالله تعالى وبوجوده وصفاته ومنهجه، فهى طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينيه تؤدى إلى سعادةٍ أبدية، هذا هو ما خلقنا الله تعالى له.

٢) نؤمن بالرزاق **لما لا نستعجل الرزق فنأخذه من حرام**، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ فَدَعَا النَّاسَ، فَقَالَ: " هَلُمُّوا إِلَيَّ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ فَجَلَسُوا، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ " هنا توجيه ثاني مهم جداً، يعالج استعجالنا للرزق وشعورنا إنه قد تأخر علينا ونحن في حاجة له، يحذرنا رسول الله من أن تدفعنا حاجتنا للرزق أن نكسبه مما حرمه ربنا، فالرزق المكتوب آت آت، فلنتحرى أن نأخذه مما أحله رب العالمين، ولا يجعلنا تسرعنا في طلبه أن نأخذه من الحرام.

يقول تعالى: **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾** العنكبوت.

للدكتور النابلسي تعليق جميل على هذه الآية الكريمة، يقول: "أحياناً الإنسان مع أخيه المؤمن يقول إكراماً له: إياك أن تسأل أحداً غيري، كلما سنحت لك حاجة تعال إلي وخذها مني، هذه منتهى المودة، فإنك إذا أحببت إنساناً حباً شديداً، فإنك لا ترضى أن يبذل ماء وجهه لغيرك، فإنك تقول له إياك وأستحلفك بالله أية حاجة تعرض لك فأتِ إلي، وكأن الله عز وجل لشدة حرصه علينا وحبه لنا قال لا تسأل غيري."

هذا معنى (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ) ربنا أمرنا نسعى مثل سعى ستنا هاجر، وعقيدتنا الراسخة في قلوبنا أنه هو الرزاق، فنعبده ونحمده ونشكر له، فإن الله لا يضيع أهله.. يقول تعالى: **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾** الذاريات

٣) نؤمن بالرزاق لما **نوقن أيضاً أننا لا نرزق أحداً**، بل الله وحده الرزاق، فلا نتكبر عليه أو نعتقد أن رزقه بأيدينا وأننا يمكننا حرمانه منه. يقول تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى"** المن والأذى يفعله من يعتقد أنه هو من يرزق، وهذا يبطل العمل تماماً لأنه كذب وبهتان وسوء خلق، فالذي يعتقد بحق أن رزقه ورزق من جعل رزقهم بيده، عند الله وحده لا شريك له، لا يمن ولا يؤذي من جعل الله رزقهم من خلاله، فهو وحده الرزاق، وهذه من أهم صور الإيمان باسم الله الرزاق.

٤) نؤمن بالرزاق **لما نصلح في الأرض ولا نفسد**، يقول تعالى: **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾** البقرة. مَن الله تعالى علينا برزقه الطيب من الأكل والشرب، وفي المقابل نهى عن أمر يفسد علينا هذا الرزق، وهو ألا ننشر الفساد في الأرض، هذا الكون الجميل المنظم النظيف الدقيق الذي خلقه الله على أحسن صورة، لا يجب أن نخرب فيه شيئاً أو نفسد فيه. فنحن نؤمن باسم الله الرزاق لما نحافظ على صلاحه، ونزيد الصالح صلاحاً. أما الإفساد فهو كفر باسم الله تعالى الرزاق، والإفساد يبدأ من إلقاء الأذى في الطريق، حتى إلقاء القنبلة الذرية.

٥) نؤمن باسم الله تعالى الرزاق بالتعامل الصحيح مع نعمه، فلا نسرف فيها. يقول تعالى: **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾** الأنعام.

نعم الله تعالى من هذه الأرزاق المتنوعة، يأمرنا فيها ربنا بأمرين، أن نأكل منها، وأن نتصدق، وألا نسرف في أي منها. وإيماناً بأنه الرزاق يتطلب منا طاعته في ذلك، فنحسن التعامل مع نعمته عند استخدامنا لها، بوضع المقادير المناسبة منها للأكل، وحسن تخزين الباقي. وحسن التعامل عند التصدق منها، بالتصدق بالمقادير المناسبة لكل أسرة، بلا تقتير ولا إسراف، وبحسن خلق واحسان.

٦) نؤمن باسم الله تعالى الرزاق لما نتأدب مع رزق الله تعالى من الزينة التي أخرجها لعبادة والطيبات من الرزق، ولا نُحرم عليهم ما أحله الرزاق، يقول تعالى: **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** الأعراف.

رب العالمين يوجهنا لما يجب أن نهتم بتحريمه، يجب أن نحرم الفواحش ما ظهر منها للناس وما بطن، ونحرم الظلم المنتشر بيننا، حتى بداخل البيوت المسلمة، ونحرم الشرك بالله تعالى، ونحرم أن نقول على الله ما لا نعلم، هذا هو ما يستحق كل خطب ومواعظ ودروس التحريم، لكن أن نحرم ما أحله الله تعالى للناس من الزينة والطيبات، فهذا أمر نهى الله تعالى عنه، لأن التحريم أمر أختص به رب العالمين وحده، فالخوض فيه بجهل وتنطع ذنب عظيم.

يقول تعالى: **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾** يونس. الحرام ما حرمه الله تعالى فقط، والحلال وما أحله هو فقط، ولا يحق لكائن من كان أن يُحرم أو يُحلل غير ما أحله الله وحرمه،

ويتساءل رب العالمين باستنكار، هل مع أحد ممن يُحرم ويُحلل أذن من الله بتفويضه بهذا الأمر، أم هو يفتري على الله الكذب؟، إنه يفتري على الله الكذب، وسوف يواجه بذنب عظيم يوم القيامة، سيكون ممن يفترون على الله الكذب، ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً، لا يوجد أظلم منه ولا أشد منه ذنباً، لذلك المسلم لابد أن يلتزم حدوده ويمسك لسانه قبل أن يفتي بتحريم أمراً لم يحرمه رب العالمين أو يحله، هذا التحريم ليس بتدين ولا تشدد في شرع الله، هذا افتراء الكذب على الله سيواجهه به الله يوم القيامة، وسيحاسب عليه أشد الحساب.

يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾** المائدة.

أمر الله تعالى المؤمنين بألا يحرموا طيبات ما أحله الله، ثم وصف من يفعل ذلك بأنه من المعتدين على شرعه، وهو سبحانه لا يحب المعتدين، فعلى المؤمنين أن يأكلوا مما أحله ربهم، لكن عليهم ما هو أهم، وهو التقوى، تقوى الله في كل مناحي حياتهم وليس في تحريم طيبات ما أحل.

٧) **نؤمن باسم الله تعالى الرزاق عندما لا نخاف على فوات الرزق إذا أطعناه،**

يقول تعالى: **وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾** القصص.

سبب هذه الآية لما رسول الله عليه الصلاة والسلام دعا قومه لأتباع أمر الله تعالى بتوحيده والتخلص من الآلهة التي تملأ الحرم، قالوا لو اتبعنا الدين الذي جئت به، لن تكون لنا المكانة العالية عند بقية القبائل، وهذه المكانة هى التي تحمينا من شرورهم وهجماتهم، ولو حدث ذلك، فسنتعرض للفقر والجوع. فيرد رب العالمين حجتهم هذه بأنه سبحانه هو من مكن لهم هذا البيت الحرام، وجعلهم في مكانة عالية حتى إن كل الثمرات والأرزاق تأتي إليهم. فهو الرزاق وحده، كل الرزق من عنده ولا رازق سواه، فكيف تخافون انقطاع الرزق إذا أطعتموه، لكن المشكلة في أن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُون، المشكلة الأزلية، أن أكثرهم لا يعلمون ولا يوقنون أن الله وحده هو الذي يرزق، ومن يوقن بذلك لا يخاف قلة الرزق إذا أطاعه.

يقول د. النابلسي في هذه الآية الكريمة: "هذه الآية تُحَمِّلُ عليها حالاتٌ لا تعَدُّ ولا تحصى، أي لمجرد أن تتوهَّم أن طاعة الله عزَّ وجل تَضُرُّك، وأن معصيته تنفعك، فيجب أن تحكم على نفسك حكماً قاطعاً أنك في جهالةٍ عمياء، لمجرد أن تتوهَّم أن طاعة الله تضرك، وأن معصيته تنفعك في شَتَّى الميادين، في كل الاختصاصات، في كل الظروف الجليلة والحقيرة، فيما يتعلَّق برزقك، بعملك، بمهنتك، بعلاقاتك الاجتماعية، حينما تعتقد أن الطاعة تضرك، وأن المعصية تنفعك، فاحكم على نفسك حكماً قاطعاً أنك في جهالةٍ جهلاء."

هناك الكثيرين للأسف يعتقدون أنهم لو أطاعوا ربهم فيما أمر به من ترك الغش والكذب والرشوة، والنفاق، والاحتكار، والاستغلال.. سيعانون من الفقر والحرمان، وستقل أرزاقهم وأموالهم، هذا هو الظن الباطل، فلا يوجد رزق في الأرض ولا في السماء غير الرزق الذي كتبه رب العالمين للعبد، هذا الرزق سيصله حتماً، لكن الامتحان أن يصل إليه بالحلال الطيب،

فإن وافق الشيطان في خوف الفقر إن أطاع الله تعالى، فكسبه من حرام، فقد سقط وفشل في امتحان الرزق، أما إن آمن وأيقن بالحق، وهو أن طاعة الله هى مصدر الرزق، وأن رزق الله آت آت، وما عليه سوى اتخاذ الطريق الحلال لكسبه، فقد نجح في امتحان الرزق.

يقول تعالى: **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾** آل عمران.

رابعاً: التخلق باسم الله الرزاق.

نتخلق بهذه الصفة العليا وهذا الاسم العظيم لله تعالى الرزاق، بأن نجعل رزق الناس من حولنا كل ما هو طيب وجميل وراقي، كما هو رزق الله، سواء كان رزقاً مادياً بإنفاق المال والهدايا والعطاءات والهبات والمنح، أو رزق معنوي بالوجه المبتسم والكلمة الطيبة والاستقبال البشوش، بالتشجيع والتحفيز، بحسن الصبر والتحمل والعفو، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه الصلاة والسلام: " إِنَّكُمْ لا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلْيَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ". فلن تكفي أموالكم لتنفقوها على كل الناس، لكن ما يمكنكم انفاقه بلا حدود، الوجه المنبسط الودود، وحسن الخلق في المعاملات، من يفعل ذلك فقد آمن باسم الله الرزاق وأحبه وتخلق به.

وفي ختام رحلتنا مع اسم الله تعالى **الرزّاق**، ندرك أن الرزق أوسع من أن يُختزل في المال أو تُقاس قيمته بكثرته وقلته، فهو عطاء الله الشامل لعباده؛ رزق الأبدان والأرواح، ورزق الدنيا والآخرة، يمنحه سبحانه بحكمةٍ ورحمةٍ وعدل، لا عن عجزٍ ولا عن غفلة، بل وفق علمٍ محيطٍ وخبرةٍ بأحوال خلقه وما يصلحهم.

لقد تعلّمنا أن الإيمان بالرزّاق لا يعني انتظار الرزق مع ترك السعي، ولا تعليق القلوب بالأسباب ونسيان مُسبّبها، وإنما هو الجمع بين الثقة الصادقة بالله، والأخذ الجاد بقوانينه وسننه في الحياة، كما تجلى ذلك في سعي السيدة هاجر رضي الله عنها، وفي توجيهات القرآن الكريم وهدي النبي عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان الرزق امتحانًا في الأخذ والعطاء، وفي السعة والضيق، فإن نجاح الإنسان فيه يكون بحسن الظن بربه، وصدق التوكل عليه، وتحري الحلال، وشكر النعمة، والرحمة بالخلق، والإصلاح في الأرض، والتخلق بفيض هذا الاسم الكريم؛ فيكون العبد سببًا للخير، ونافذةً لرحمة الله ورزقه بين الناس.

فيا رب يا رزّاق، ارزقنا يقينًا لا يتزعزع بأن خزائنك لا تنفد، وقلوبًا لا تتعلق إلا بك، وسعيًا مباركًا ترضاه، ورزقًا حلالًا طيبًا واسعًا، ورزقًا أعظم منه من العلم والهداية والقرب منك، واجعلنا من الشاكرين لأنعمك، الراضين بأقدارك، المحسنين إلى عبادك، إنك أنت الرزاق ذو القوة المتين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الخامس

الْعَظِيمُ

العظيم

من أعظم ما يُحيي القلب ويُقيمه على الطريق الصحيح أن يعرف العبد ربَّه حق المعرفة، وأن يستحضر معاني أسمائه الحسنى في قلبه وعقله وسلوكه. ومن هذه الأسماء الجليلة التي تهز القلوب وتُوقظ الغافلين اسم الله العظيم، ذلك الاسم الذي إذا استقر معناه في النفس، صغُر كل شيء دونه، وامتلأ القلب هيبةً وخشوعًا وتعظيمًا لله تعالى.

فالعظمة صفةٌ يتفرد بها الله سبحانه على وجه الكمال المطلق، عظمةٌ لا تُقاس ولا تُحد، تظهر آثارها في خلقه، وفي تدبيره، وفي أسمائه وصفاته، وفي آياته الكونية والقرآنية. وكلما ازداد العبد معرفةً بعظمة ربه، ازداد خضوعًا له، وابتعد عن التعلّق بغيره، وعاش مطمئنًا في كنفه.

ولذلك فإن الوقوف مع اسم الله العظيم ليس مجرد تأمل لغوي أو معرفي، بل هو انتقال بالقلب إلى مقام التعظيم الحقيقي، الذي يثمر طاعةً صادقة، وخشيةً دائمة، وتوكلاً خالصًا، وابتعادًا عن كل ما يُزاحم عظمة الله في القلب.

وفي هذا الفصل، سنحاول أن نتعرّف على هذا الاسم العظيم من خلال معناه في اللغة، وتأمل الآيات التي ورد فيها، وفهم لوازمه وآثاره، ثم ننتقل إلى كيفية الإيمان به وتطبيقه في حياتنا، وأخيرًا كيف يتخلّق العبد بما يناسبه من هذا الاسم الجليل.

سنستعرض اسم الله العظيم من خلال عدة نقاط:

أولاً: معنى اسم الله العظيم في اللغة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله العظيم وما يتلازم معه.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله العظيم ونطبقه في حياتنا

رابعاً: التخلق باسم الله العظيم.

أولاً: معنى اسم الله العظيم في اللغة.

عَظِيمٌ: هَائِلٌ، فَخْمٌ، جَلِيلُ القَدْرِ، زَعِيمٌ كَبِيرٌ، قَوِيٌّ. عَظُم الشَّخصُ: كَبُر، فَخُم، علَت مكانتُه. إذاً العظيم لغة هو الهائل الفخم جليل القدر الكبير القوى العالي المكانة.

هذا على مستوى البشر، فلو طبقنا هذه المعاني على رب العالمين، فهو العظيم، لما نضيف الألف واللام فهو الأعلى مكانة في العظمة، هو المتفرد بالعظمة على وجه الحقيقة، فهو العظيم الذي قدرته وأفعاله هائلة وممتدة وشاملة لأنه الكبير القوى الجليل القدر العالي المكانة، هو العلي الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه، سبحانه وتعالى.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله العظيم وما يتلازم معه.

أول ذكر لاسم الله تعالى العظيم سنقابله بآية الكرسي، يقول تعالى: **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾** البقرة.

لكي نفهم اسم الله (العظيم) سنستعرضه من خلال ما يتلازم مع هذا الاسم بهذه الآية العظيمة، حيث في نهايتها اسم لله تعالى"الْعَلِيُّ"بجانب "الْعَظِيمُ".. شرحنا المعنى اللغوي لاسم الله العظيم.. نشرح "العلى" لأنهما معاً ثمرة كل الصفات والأفعال التي جاءت بالآية.

الْعَلِيُّ: هو ذو المكانة العالية الخاصة في العلو.. وإضافة الألف واللام تعنى إنه المتفرد وحده تعالى بعلو القدرة والمكانة والرفعة والغلبة لا يصل كائنا من كان لمكانته وقدرته، هو الْعَلِيُّ على كل ملك وحاكم ومسيطر ومتحكم، فالله فوق الجميع في كل صفات الكمال، وبالعظمة يزداد العلو، فهو الْعَلِيُّ بمسافة بعيد جداً، في غاية البعد عن كل ما نعتقد أنه عَلِيٌّ، سبحانه هو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

بهذا فإننا سنتكلم عن لوازم اسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ معاً، وهى كل الصفات والأفعال التي جاءت بآية الكرسي، سنجد أنه جاء بها ٩ صفات لازمة لفهم اسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

الصفة الأولى اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..**

يقول د. النابلسي في هذه الصفة العليا: "كلمة (الله) علمٌ على الذات الإلهية، صاحب الأسماء الحسنى، والصفات الفضلى، خالق السماوات والأرض، لا إله إلا هو؛ الرحيم، الكريم، البَرّ، الغفور، الفعَّال لما يريد، القاهر فوق عباده، القوي، المتين، ذو الجلال والإكرام، الحَكَمُ، العدل، فإذا قلت: الله، فكل أسمائه الحسنى منطويةٌ في هذه الكلمة. وجرت الآيات الكريمة أن الله جل جلاله إذا تحدَّث عن ذاته تحدث بضمير المُفْرَد: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه١٤

أنت مَن تعبد في الأصل؟ تعبد موجوداً، يسمعك إذا دعوت، ويراك إذا تحرَّكت، ويعلم ما في سرك، فالإله يسمع، ويعلم، ويرى، سميعٌ بصيرٌ عليم.

وأنت مَنْ تدعو؟ تدعو مَن هو موجود، وتدعو مَن يسمعك إذا تكلَّمت، ومَن يراك إذا تحرَّكت، ومَن يعلم ما أسررت إذا لم تتكلم.

فَمَنْ تدعو؟ تدعو مَن هو قديرٌ على كل شيء، قادرٌ على أن يلبّي حاجتك مهما عَظُمَت، واللهُ كذلك.

تدعو مَن يحبك، فأنت في الدنيا لا تسأل إلا موجوداً يسمعك، قادرٌ على أن تلبيتك، ويحب أن يلبيك.

فإذا قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحقٍ إلا الله، لا ينبغي لك أن تعبد إلا الله، ولا يستحق العبادة إلا الله، والله أهلٌ أن تعبده لأنه حيٌ باقٍ على الدوام، فلو عبدت إنساناً يموت لضاعت كل آمالك، وضاع كل عملك..

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَن يستطيع أن يقول هذا الكلام إلا أن يكون إلهاً عظيماً، موجوداً، وواحداً، وكاملاً.

إن تحقيق العبودية لله تعالى تعنى نفي وجود أي إله سواه، يقول تعالى: "**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**" (محمد). أي تعلم وابذل المجهود والوقت والمال في سبيل معرفته، وبداية المعرفة، نفي أي معبود سواه، ثم اثبات العبودية له وحده، هذا العلم هو الذي يؤدى للعمل، هو الذي يعلمنا كيف نتخذه وحده إله عند اتخاذ قرارات حياتنا اليومية.

وقد أنزل لنا ربنا آيات عظيمة مبينة لمعنى التوحيد، منها.. يقول تعالى: **وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾** يونس. أهم علامة من علامات التوحيد، ألا تعتقد أن هناك من يمكنه أن ينفعك أو يضرك من دون الله، أى اعتقاد ولو بسيط أن هناك من ينفعنا أو يضرنا من البشر، أو المال، أو الجاه والمكانة، أو الأسرة، أو المجتمع أو... لو استقر هذا الاعتقاد في قلب المسلم فاتخذ قرارات حياته بناءً على هذا الاعتقاد فقد ظلم نفسه وفقد توحيده لله تعالى، وأول وأخطر من يُعبد من دون الله "النفس أو الهوى"، حيث يعتقد الإنسان أن اتباعه لما يهواه من تصرفات وأخلاق بعيدة تماماً عما يحبه الله تعالى ويرضاه، ينفعه، وأن اتباعه لما يحبه الله تعالى ويرضاه، يضره، هنا قد عبد نفسه من دون الله وفقد توحيده.

وفي الأثر: " لا يَزَالُ أَهْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يُبَالُوا مَا انْتَقَصَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، فَإِذَا لَمْ يُبَالُوا مَا انْتَقَصَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فِي صَلاحِ دُنْيَاهُمْ، رُدَّتْ عَلَيْهِمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَقِيلَ لَهُمْ: لَسْتُمْ بِصَادِقِينَ ". أهل لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الذين يعتنون بتحقيقها ما زالوا على خير يعنى صادقين في العمل بها ما لم يهتموا ويحزنوا على شيء ينقص من دنياهم في سبيل صحة دينهم، مثلاً تركت هذا المال لأن به شُبهةً، فنقص مالي، نقصت دنياي لكن حافظت على ديني. أو تركت هذه المدرسة التي ستؤثر تأثيراً سيئاً على دين أولادي، وهذا قد ينقص دنياي التي أريدها لأولادي، لكن حافظت على ديني ودينهم. أو تركت هذا العمل، أو هذا السفر، أو أي مصلحة في حياتي نقصت بسبب أني تركتها لأن ربي لا يرضى عنها، تركتها لأثرها السيئ على ديني، رغم أنها فيما يبدو لي، قد أنقصت دنياي.

أهل لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ حقاً وصدقاً لا يبالون بهذا النقص مادام هو لصحة دينهم، أما لو لم يهتموا ولم يبالوا بنقص دينهم بمعنى ارتكاب المعصية في سبيل تحقيق مصلحة في دنياهم، هنا تُرد عليهم لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يعنى لا يقبلها الله تعالى، لأنه عند الفعل تتضح الحقائق، ولقد اتضح أن لديهم جهة أخرى يطيعونها لتحقيق مصلحتهم في الدنيا، حتى لو أدت لنقص دينهم وسوء علاقتهم بربهم.

فالله لا إله إلا هو، منهج كامل لحياة المؤمن، قد يشوب التنفيذ بعض الأخطاء، وهذا أكيد، لكن لوجود علم وملف سابق بمعنى لا إله إلا الله، فإن المؤمن يسارع بالاستغفار والتوبة واصلاح ما أفسد.

فالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. هو اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

الصفة الثانية اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ **الْحَيُّ**..

{الحي} هى أول صفة يجب أن تكون لذلك الإله، لأن القدرة تأتي بعد الحياة، والعلم يأتي بعد الحياة، والحكمة تأتي بعد الحياة وهكذا.. لكن ليست صفة من صفات الله أسبق من صفة ولا متقدمة عليها فكلها قديمة لا أول لها ولا آخر. و{**الْحَيُّ**} بالألف واللام يعنى أنه وحده الذي يتصف بأعلى صور الحياة، لا تطرأ على حياته أي تغيير، هو الأول والآخر، فإذا قلنا **الْحَيُّ** فهو الله، لأنه حيّ بذاته ومصدر لقيام كل حيّ، حيّ محيي، حياتنا قائمة به، وجوده ذاتي أما نحن فوجودنا متعلق بإمداد الله لنا، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ **الْحَيُّ** لأنه وحده الحي وكل ما سواه يموتون، يقول تعالى: **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾** الفرقان. كل من اتخذ إله سوى الله فهو خاسر لأنه سيموت، أما عبادة الله فهى الحق لأنه الحي الذي لا يموت.

فالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. هو الْحَيُّ سبحانه.

الصفة الثالثة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. **الْقَيُّومُ**..

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، القيوم مبالغة في القيام بالأمر، والقَيُّومُ لغة هو القائمُ الحافظُ لكل شيء، دائم القيام على كلّ شيء، والقيوم سبحانه وتعالى هو القائم بنفسه مطلقاً ويقوم به كل موجود، كل دقائق حياتنا أجسامنا وأرزاقنا ووجودنا يقوم بها القيوم، كل دقائق عالم الحيوان وعالم النبات وعالم البحار، يقوم بها القيوم، كل دقائق الكون كل ما صغر منه وما كبر، يقوم بها القيوم.

فالقيوم هو المدبر المتولي لجميع الأمور التي تجري في الكون، فلا شيء يقع في الكون إلا بأمره، ومشيئته، وإرادته وحكمته وقدرته، وعلمه وتدبيره، ويقول تعالى في معنى القيوم: " **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ..** " الرعد. القائم على كل نفس بما كسبت، يعنى الذي يعامل كل إنسان تبعاً لأفعاله، الغشاش له معاملة، والمتقن عمله له معاملة، والأمين له معاملة، والخائن له معاملة، الصادق له معاملة والكاذب له معاملة، العادل له معاملة والظالم له معاملة، وهكذا.. قائم على كل نفس بما كسبت، بما تستحق، بما يؤديها أو بما يثيبها، يقول تعالى: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)**﴾ طه.

فالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. هو الْقَيُّومُ سبحانه.

الصفة الرابعة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، سبحانه الواحد الأحد، حي لا يموت وقيوم على كل خلقه، لا تأخذه سنة ولا نوم، كل ما يقوم به سبحانه يقوم به على الدوام وفى كل اللحظات، لا يغفل أبداً ولا ثانية ولا طرفة عين عن خلقه وعن إمدادهم ورزقهم ومتابعتهم كل خلقه في السموات والأرض وفيما نعلم وفيما لا نعلم، سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، يُطمئن خلقه أنه لا يغفل ولا ينام، بل لا تأخذه أقل لحظات النوم، يقول تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا**

مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ فاطر. فسبحانه لا يغفل ولا لحظة، لأنه لو حدث، لزالت السماوات والأرض، ولم يستطع أحدٌ أن يمسكها من بعده، يعنى لهلكنا ولهلك الكون كله.

فالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أي إشراف دائم؛ بالمتابعة، والمراقبة، والمحاسبة، والمُعالجة، والاهتمام، والعطاء، والأخذ، والتأديب، والإكرام، والمتابعة، وهو مع كل الخلق، ومع كل المخلوقات، ومع كل البشر، ومع كل الكائنات، فهو سبحانه وتعالى لا يعتريه نعاس (سِنة) ولا نوم، مما يدل على كمال قيوميته، حياته، وقدرته في تدبير شؤون خلقه دون غفلة أو تعب. "السِنَة" هي النعاس أو الغفوة، و"النوم" هو استثقال النوم، ونفيهما معاً ينفي أي نقص، فهذه دعوة للثقة به وللالتجاء إليه في كل وقت وحين، فهو موجود حي قائم لا يعتريه نقص الغفلة أو النوم.

الصفة الخامسة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ **لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**

اللَّـهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، يقول المفسرون: هي الملكية الشاملة. كما أنها هي الملكية المطلقة، الملكية التي لا يرد عليها قيد ولا شرط ولا فوت ولا شراكة، وهي مفهوم من مفاهيم الألوهية الواحدة، فالله الواحد هو الحي الواحد، هو القيوم الواحد، هو المالك الواحد ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿ لَهُ ﴾ لام المُلك؛ فله المُلكُ خَلقاً، وتصرُّفاً، ومصيراً، والسماوات والأرض تعبيرٌ قرآني عن الكون، فالكون كله له، والكون هو كل ما سوى الله، وأنه لا شيء في كونه يخرج على مراده لأن كل ما في السماوات والأرض له، فلا شيء ولا أحد يخرج عن قدرته. والجملة **لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** تفيد التخصيص فهو لا يترك شيئاً في السماوات والأرض إلا هى ملك له سبحانه، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولكي نقترب من فهم معنى له ما في السماوات والأرض، سنحاول بتبسيط واختصار نتعرف على المقصود بالسماوات والأرض، سنقوم برحلة فضائية لنرى ما هى السماوات.

لقد تعودنا في حياتنا أن نستخدم الكيلومتر لقياس الأطوال والأبعاد الكبيرة، لكن العلماء وجدوا أن هذا القياس ليس ذا نفع في قياس أبعاد النجوم؛ ولهذا السبب وضع علماء الفلك وحدة ملائمة لقياس أبعاد النجوم وهي ما نسميه **السنة الضوئية**. سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كيلومتر/ثانية، وبهذه السرعة فان الضوء يقطع ١٨ مليون كيلومتر في الدقيقة، يعنى السنة الضوئية الواحدة تساوى حوالي ٩ تريليون كيلومتر، فلما نقول بينا وبين هذا النجم سنة ضوئية، يعنى أنه بينا وبينه ٩ تريليون ك م، ولكي نتصور هذه المسافة، فإن بينا وبين الشمس ١٥٠ مليون كيلو متر فقط، وهى ٨ دقائق بمقياس السنة الضوئية.

سنتكلم هنا في حجم واتساع السماوات، لن نتكلم عن الدقة والسرعة والتكوين والنظام والروعة والجمال، لا، سنتكلم فقط عن مدى كبر حجم الكون واتساعه، الذي هو مُلكٌ خالص لله تعالى، العلى العظيم.

إن الكرة الأرضية داخل المجموعة الشمسية التي تتكون من الشمس وجميع ما يَدور حولها من أجرام بما في ذلك الأرض والكواكب الأخرى مثل عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. هذه المجموعة الشمسية داخل مجرة اسمها "درب التبانة"، مجرة درب التبانة تحتوي ما بين ٥٠٠ مليار إلى ٣ ترليون نجم مثل الشمس!! وإنّ أكبر نجم من حيث الكتلة والسطوع في مجرة درب التبانة هو النجم بيستول أو النجم المسدّس(Pistol) ، تبلغ كتلة هذا النجم ١٠٠ ضعف كتلة الشمس، وسطوعه أكثر بـِ ١٠مليون مرة منها، ويبعد ٢٥ألف سنة ضوئية عن الأرض، كل هذه النجوم داخل مجرتنا فقط، ومجرتنا هذه شكلها قرصي ويبلغ قطرها حوالي ١٠٠,٠٠٠ - ١٨٠,٠٠٠ سنة ضوئية وسمكها حوالي ١٠٠٠ سنة ضوئية، فهي قرص رقيق جداً بالنسبة لأحجام أخرى هائلة من المجرات، ونحن نعيش قريبا من حافة تلك المجرة حيث تدور مجموعتنا الشمسية حول مركز المجرة، وتبعد مجموعتنا الشمسية عن مركز المجرة نحو ٢٧ ألف سنة ضوئية. إذاً، نحن في داخل مجموعة شمسية تتكون من الشمس والكواكب التي تدور حولها، مجموعتنا هذه داخل مجرة التبانة، مجرة التبانة تحتوي على مليارات الشموس التي هى أكبر من شمسنا بمراحل، ومجموعتنا الشمسية موجودة قرب حافة مجرة التبانة، وبينا وبين مركز مجرتنا ٢٧ألف سنة ضوئية. هذا لكي نتخيل اتساع المجرة التي توجد بها أرضنا.

ثم يأتي الأعظم، مجرة التبانة التي نراها بهذا الوصف هائلة الحجم، يعتقد العلماء بعد إجرائهم الأبحاث والمشاهدات والحسابات، أن حجم مجرة "درب التبانة" وسطي بين أحجام المجرات الأخرى، فهناك مجرات أصغر، وهناك ما هو أكبر بكثير من مجرتنا، مشيرين إلى أن الأضخم على الإطلاق يقدر حجمها بنحو ٣٠ تريليون ضعف حجم مجرتنا، وأن الكون يحتوي على حوالي ٢٠٠ مليار مجرة في الكون المرئي!!!! ثم الأعظم والأعظم أن المسافات بين هذه المجرات هائلة، تقدر بملايين السنوات الضوئية، **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾** سورة الواقعة.

هذه هى عظمة الكون، فما بالنا بعظمة من خلقه، هل يمكن بعد معرفتنا بهذه العظمة أن نطلب من غير العظيم أو نطيع غير العظيم، من في عظمة الله لكي نطيعه أو نخافه؟ وصدق رب العالمين إذ يقول: **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾** الحج. ويقول جل في علاه: **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾** الزمر.

الحمد لله على وجود الله، الواحد الأحد الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الملك الحق، له ما في السماوات وما في الأرض. ولقد يسر لنا ربنا كل هذه الاكتشافات المذهلة في زماننا هذا لكي يساعدنا على الإيمان به واليقين بوجوده وصفاته في وقت كثرت فيه الفتن وكثرت فيه دعاوى الشكوك والإلحاد. فالحمد لله على وجودِه وإيماننا به.

الصفة السادسة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ **من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.**

الشفاعة هي التماس العفو أو التخفيف من العقوبة عن الغير من غير دليل أو سبب لهذا العفو، يعنى لا يوجد أي دليل على براءة المتهم أو استحقاقه العفو والتخفيف لأن التهمة ثابته عليه ولا عذر له، إذاً، الشفاعة تكون بعد انعقاد المحكمة وعرض التهمة وصدور

الحكم، ورب العالمين العلى العظيم عندما يصدر حُكماً فإن هذا الحكم يكون عظيماً، فالحكم يأخذ مكانته من مكانة من أصدره، فالعلى العظيم حكم عن علم كامل وعدل مطلق.

يؤكد ذلك صفاته سبحانه قبل هذه الصفة وما بعدها، فهو الله الواحد الأحد وهو الحي القيوم القائم على كل عباده ومخلوقاته ويتابعهم في كل لحظة، فهو الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الملك على وجه الحقيقة الذى يملك كل ما في السماوات والأرض، فلما يُصدرُ حكماً فهو حكمٌ عظيم، فلا سبب لتغييره، حتى أن هذه الصفة جاءت بصيغة الاستفهام، التي توحي بأن هذا أمر لا يكون، وأنه مُستْنكرٌ أن يكون. وكما يقول بعض المفسرين: (هى صفة أخرى من صفات الله، توضح مقام الألوهية ومقام العبودية.، فالعبيد جميعاً يقفون في حضرة الله تعالى موقف العبودية، لا يتعدونه ولا يتجاوزونه، يقفون في مقام العبد الخاشع الخاضع، الذي لا يجرؤ على الشفاعة عنده، إلا بعد أن يؤذن له، فيخضع للإذن ويشفع في حدود ما أُذن له به، إن الشفاعة ليست حقا لأحد، ولكنها عطاء من الله). إذاً فعندما يحكم الله، فحكمة هو العدل المطلق، فالشفاعة عنده مأذون فيها بإرادته هو وحده، فهو من مجده وعلوه لا يسمح بالشفاعة إلا بعد أن يأذن للشافع أن يشفع، لعظم ما يشفع فيه.

إذاً فالعلى العظيم.. لا يشفع عنده شافعٌ إلا بإذنه.

الصفة السابعة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ... **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...**

من مستحقات ولوازم العظيم سبحانه أنه يعلم عنا كل شيء، هو عظيم في مكانته ورفعته وقدرته وأقداره وأحكامه، لأنه يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا، لو تصورنا علمنا بالآخرين، سنجد أننا لا نعلم منهم إلا ما يظهرونه لنا في اللحظة التي نكلمهم فيها وفقط، لا نعرف ما الذي يخفونه، ولا ما الذي يقولونه لأنفسهم، ولا ما الذي فعلوه من دقيقة. لكن علم الله تعالى بما بين أيدينا وما خلفنا، هو علمٌ لا مثيل له عند أي كائن أياً من كان.

إنه العلم الكامل الشامل المحيط، يعلم العظيم ما في حاضرنا وماضينا من نوايانا وخفايا النفس وحديثنا معها، وحقيقة ما نهدف إليه، وحقيقة اخلاصنا، يعلم ظواهرنا وبواطننا، يعلم سرنا وجهرنا، يعلم ما نرجوه وما نصبو إليه، يعلم ما نقوله ونفعله أمام الناس وما نقوله ونفعله حيث لا ترانا أعين الناس، يعلم حقيقة قلوبنا وأمراضنا وجهادنا مع أنفسنا أو استسلامنا لهوانا.

يعلم العلم الكامل الشامل المحيط بنا، ويعلم هذا على مستوى مليارات البشر، وهذا العلم ليس لمجرد العلم وفقط، إنما هو للعناية والرعاية والمتابعة والعقاب والمكافأة من رب العالمين، هذا العلم هو من صفاته العليا التي لا توجد لسواه.

فالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا، يملك العلم الكامل المحيط بنا وحده.

الصفة الثامنة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ... **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ..**

رب العالمين العلى العظيم هو الذي يعلم وحده كل شيء علماً مطلقاً شاملاً كاملاً محيطاً. فالإحاطة هى معرفة كل شيء، مثل المحيط على الدائرة، وهو سبحانه يسمح للعباد بالإحاطة بشيء من علمه؛ تصديقاً لوعده الحق، يقول تعالى: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾** فصلت..

هو سبحانه وحده المحيط بكل شيء، فالحقيقة التي يجب أن نتذكرها دائماً كلما نرى فتحاً علمياً أو ننبهر بتقدم في مجال من المجالات المختلفة، أن نتذكر أن العظيم سبحانه هو من أذن وشاء لهذا العلم أن يظهر ويستخدمه الناس، فالعلم الكامل عند العظيم، يُخرج لنا منه ما شاء وقتما يشاء، فهو واهب المعرفة، فقد فضل سيدنا آدم وذريته على الملائكة بالعلم الذى علمه إياه، ووعدهم أن يريهم آياته في الآفاق وفي الأنفس، وصدق وعده فكشف لنا يوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل، عن بعض العلوم الكونية التي تلزم للإنسان في إعمار الأرض والرقى بالحياة بها.

ونلاحظ في قوله تعالى (بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ) ولم يقل ولا يحيطون بعلمه لكنه قال ولا يحيطون بشيء من علمه، وهذا مزيد من الدقة في تصغير معارفنا وعلومنا التي أذن لنا بها، فالله تعالى خالق الإنسان والمحيط بعلم كل ذرة به، لم يمنح البشر إلي الآن إلا علم الصورة التشريحية الخارجية لجسم الإنسان، وإلى الآن ما يجهلونه أكثر بكثير جداً مما يعلموه، إلى أن يشاء الله تعالى أن يظهره.

وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾**

فالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. لا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء.

الصفة الخامسة اللازمة لاسم الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ... **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا..**

أخذنا في شرح صفة (له ما في السماوات وما في الأرض) نبذه بسيطة جداً عن عنصر واحد من السماوات والأرض وهو مدى اتساعها، فلما رب العالمين يقول وسع كرسيه السماوات والأرض، وقد تصورنا اتساعها الهائل الذى يقاس بمليارات السنوات الضوئية، نستطيع أن نعرف أن اتساع الكرسي هو اتساع يصعب علينا تخيله أصلاً، وقال العلماء أن الكرسي عادة يمثل القوة والتحكم والسلطة والقدرة، فإذا وسع كرسيه السماوات والأرض فقد وسعها ملكه وسلطانه، ولا يصعب عليه حفظ ملكه سبحانه على اتساعه الهائل الذى لا يمكن الإحاطة به، والكرسي والعرش لا يمكن تخيلها إلا من خلال **"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"**

وقد قال د. فاضل السامرائي العالم اللغوي الكبير: "أن استخدام صيغة الماضي في فعل (وَسِعَ) تدلّ على أنه وسعها فعلاً فلو قال يسع لكان فقط إخبار عن مقدار السعة فعندما نقول تسع داري ألف شخص فليس بالضرورة أن يكون فيها ألف شخص، ولكن عندما نقول وسعت داري ألف شخص فهذا حصل فعلاً

وقال في (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ) الله أعلم بما يليق بذاته ونحن نقف عند ما قال ربنا، وفي اللغة يستعملون الكرسيّ مجازاً يقصدون به القدرة والملك والتدبير، أي وسع ملكه وعلمه السماوات والأرض.

وقال: ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا (جاء بـ (لا) للدلالة على الزمن المطلق أي (لا يمكن أن يحصل أبداً) فلا يثقله ولا يجهده حفظهما. وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه لا عليّ ولا عظيم على الحقيقة سواه سبحانه فهو العليّ العظيم حصراً ".

إذاً الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا.

فالله هو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه الْحَيُّ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه الْقَيُّومُ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه لا يَشْفَعُ أحدٌ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه من يَعْلَمُ وحده مَا بَيْنَ أَيْدِينا وَمَا خَلْفَنا.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ.. وهو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لأنه وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا..

ومما يتلازم أيضاً مع اسم الله العظيم، أنه رب العرش العظيم، يقول تعالى: **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾** التوبة.

العرش العظيم يعني قدرة الله تعالى العظيمة، فالله تعالى وحده يعلم قدره، فهو ليس كمثله شيء، فهو دلالة على القوة والقدرة والملك العظيم والسعة التي تتعدى قدرتنا على التصور، والذي يجب أن يترتب على معرفتنا بأنه رب العرش العظيم، ألا نُعرض عن رسالته وهداه، وأن نحرص على اتباع رسوله فيما جاء به من الرسالة، فله كل الإجلال والتقديس، وله كل الحب والطاعة، فهو حسبنا ومن نتوكل عليه ونسأله ونرضى بحكمه.

فملخص ما سبق، أنه من يعرف أنه لا إله إلا هو.. لا يتوجه إلا له ولا يسأل سواه ولا يثق إلا في حكمه ولا يطيع غيره..

من يعرف أنه الحي القيوم.. يحسن التوكل عليه..

من يعرف أنه لا تأخذه سنة ولا نوم.. يحمده على عنايته ورعايته وحفظه..

من يعرف أن له ما في السماوات وما في الأرض.. يطمأن قلبه لغنى وقدرة ربه فيسأله وحده لأنه الملك المالك حقاً وصدقاً..

من يعرف أنه لا يشفع عنده إلا بإذنه.. يقف موقف العبد الذليل لربه يسأله النجاة فلا شفيع إلا بإذنه سبحانه..

ومن يعرف أنه يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا.. يتقيه ويخشى عقابه ويخشى عذابه لما فيما سبق.. ويتقيه فيما هو آت..

ومن يعرف أنه لن نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء.. يقف موقف الشاكر لربه لكل علمٍ مَنْ به عليه ويؤدى شكره ويسأله المزيد..

ومن يعرف أنه رب العرش العظيم.. يؤمن برسالته وبما جاء به رسوله، ويتبعها بحب وتعظيم..

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله العظيم ونطبقه في حياتنا.

سنعلم من السياق الذي أتت به آية الكرسي كيف نطبق اسم الله تعالى العظيم في حياتنا، يقول تعالى في الآية التي تليها: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾** البقرة.

"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"، لا يريد الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ إلا من جاءه يسعى بقلب سليم، من يعرف العلى العظيم ثم لا يأتيه طواعية، فالعلى العظيم لا يريده بأي صورة من صور الإكراه، دورنا أن نُعرف الناس مِن حولنا بالعلى العظيم، فإذا عرفوه فلا مجال لأي إكراه، ونفى الله تعالى لهذا الأمر يعني أنه مُحرم أن يُتخذ الإكراه وسيلة لإلزام الناس بالدين.

ثم يأتي ربنا بالقانون الرباني القائم على صفات العلى العظيم، **"فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا"**، إن الإيمان بالعلى العظيم يستلزم تخلية القلب من كل الطواغيت، والطاغوت هو كل ما تجاوز حده وارتفع عن مقامه، الحاكم الطاغية هو الذي تجاوز حده في الظلم، المتكبّر الجبّار، الذي يأكل حقوق الناس ويقهرهم، كفرعون مثلاً، يقول تعالى: **اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾** طه. فهو طاغوت، أي تجاوز كل الحدود والمحرمات.

إذاً الكفر بالطاغوت يعنى أن أُخرج من قلبي كل ما يأخذ مكانةً ومساحةً لا يستحقُها ويتجاوز حدوده ويرتفع عن مقامه، فيطغى على مقام الله، فأسمع له وأطيع ولو على غير مرضاة الله. وأشد طاغوت هو النفس والهوى، هي التي تطغى على مقام الله تعالى في السمع والطاعة، قد تكون الدنيا، وقد يكون الجاه، وقد يكون الأولاد، وقد يكون مكانتي بين الناس وكيف سينظرون إلي، وقد تكون الرغبة في السيطرة، وقد تكون كسب الأموال والعقارات والأراضي. أي أي شيء أياً كان يرتفع عن مقامه في قلب المسلم الذي وضعه الله تعالى فيه بحيث يملأ القلب ويطغى على المقام الأعلى للعلى العظيم، فهو طاغوت.

إذاً أؤمن بالله العلي العظيم لما تكون معرفتي وإيماني به تجعلني أُقدم عليه طواعية بلا إكراه، وأُخرج أي طاغوت احتل قلبي وأخذ مكانةً ليست له، وأصدقه وأسمع له وأطيع، من يفعل ذلك **"فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ."** واستمسك بالعروة الوثقى يعنى أن المؤمن لما يخرج من قلبه كل طاغوت ويؤمن بما أمر به رب العالمين ويعمل به، فقد تمسك بالأمر المحكم الثابت الذي يستحيل أن يتغير أو يتبدل، هذا هو قمة النجاح، أن يتمسك الإنسان بموقف يعطيه أقصى درجات الصحة، والسلامة، والأمن، والثبات.

** ومن النقاط التي يمكن أن تعيننا على فهم اسم الله العظيم وصورة الإيمان به، أن نتصور المثل الذي يضربه الدكتور النابلسي لفهم أمرٍ قال عنه العظيم أنه عظيم، يقول: لو أن طفلاً قال لك لقد حصلت على مكافأة عظيمة، فأنت تقدرها بنحو ٥٠٠ جنيه، لكن لما يقول وزير الخزانة الأمريكية أن عندنا عجز عظيم في الميزانية، فيمكن أن نتصوره تريليون دولار.

هذا الفرق الهائل ناتج عن اختلاف الشخصية التي تطلق صفة العظمة. فلما رب العالمين العظيم سبحانه وتعالى يقول لنا هذا له أجر عظيم أو هذا له عذاب عظيم، يصبح الأجر والعذاب فوق تصوراتنا من ضخامتها وشمولها وعددها ونوعيتها، فلنستعرض ما الذي أطلق عليه العظيم أنه عظيم، حتى نعظمه أو نزداد منه أو نتجنبه، وهذه أمثلة فقط لكثرتها.

ما عَظَّمَهُ العظيم:

كلام الله عظيم.. يقول تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾** الحجر. فمكانة القرآن عظيمة، فلا يوجد كتاب في حياتنا يستحق تعلمه والعمل به وتعظيمه مثل القرآن العظيم، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نقدس قرآنه ونعظمه ونعمل به.

وقد بين ربنا حيثيات عظمة القرآن الكريم، يقول تعالى: **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ..** البقرة. ويقول تعالى: **إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾** الإسراء.

هو هدى للناس به من الأخلاقيات والقيم والأحكام ما يقيم حياتهم على أفضل صورة، فهو يهدي للتي هي أقوم في حياة المسلم وزواجه وعمله، وأهله، وماله، وأولاده .. يهدي لكل الخيرات في كل نواحي الحياة، ثم يجعل البشرى لمن يعمل بهذا الهدى.

وجعل تدبره علامة على سلامة القلب، يقول تعالى: **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ محمد.**

لذلك يسر الله تعالى قراءته وفهمه لكل من أراد، يقول تعالى: **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ القمر.** وجعله مفصلاً، يقول تعالى: **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ فصلت.**

ثم هذه الآية التي تدل على مكانة القرآن العظيم، إنه من العلو والعظمة بما فيه كلام رب العالمين وبما فيه من هدى ونور، حتى أن الجبل الجماد يخشع ويتصدع إذا أنزل عليه القرآن بآياته وبيناته وهداه، يقول تعالى: **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الحشر.**

لكن يقول تعالى: **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ الفرقان.** بالرغم من أنه القرآن العظيم، وأنه هدى للناس، وأنه يهدي للتي هي أقوم، وربنا يدعو لتدبره، ويسره على كل من يريد قراءته وفهمه، وفصل آياته تفصيلاً، إلا أن عامة المسلمين هجروه للأسف الشديد واستبدلوه بكتب أخرى ادعوا صحتها وأنها أهم من القرآن العظيم في اتخاذ الأحكام والقيم.

ويوم القيامة يوم عظيم.. يقول تعالى: **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ الأنعام.** فبالتأكيد لابد من خشية هذا اليوم العظيم والعمل على اجتيازه بنجاح، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نضع هذا اليوم العظيم وما فيه من حساب عسير في حساباتنا، عند الكلام وعند الصمت، عند البيع وعند الشراء، عند الغنى وعند الفقر... ، عند كل حركة من حركات حياتنا، نخشى معصيته، ونخشى عذابه، ونرجو رحمته، يقول تعالى: **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾** الزلزلة.

الادعاء على الناس بالباطل بهتان عظيم.. وذلك عند اتهام ستنا وحبيبتا السيدة عائشة في حديث الإفك.. يقول تعالى: **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَانَكَ هَـٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾** النور. لهذا جعل له ربنا عذاب عظيم.

ويقول تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾** النور. فالجزاء من جنس العمل، فاطلاق الشائعات التي تمس شرف وسمعة وكرامة الناس، بهتان عظيم، لذلك جعل العظيم لها عذاب عظيم.

وهذا بالتأكيد يجعلنا نتجنب ونخشى من نشر الإشاعات والكلام والغمز واللمز على الناس أيان كان ما سمعناه، فقد أُشيع على أطهر النساء ستنا عائشة أنها ارتكبت الفاحشة وهى بريئة، فوقع في الأثم من تكلم فقط في هذه الإشاعة، وحقت عليه العقوبة في الدنيا والآخرة إن لم يتب، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نحفظ ألسنتنا عن الخوض في أعراض الناس، كل الناس، ولا ننقل هذه الأخبار ولا نشجع عليها.

والعظيم سبحانه فضله عظيم.. يقول تعالى: **مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾** البقرة.

العظيم سبحانه وصف الإسلام والقرآن أنه خير من ربنا، وأنه فضل عظيم من ذو الفضل العظيم، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نتمسك به فهو رحمة الله تعالى لنا اختص بها كل من يتبع القرآن الكريم.

وفى نفس المعنى يقول تعالى: **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾** النساء. العظيم سبحانه وصف العلم الذي أنزله للمسلمين أنه فضل عظيم منه، العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فضل عظيم، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نعظم ديننا وكتابنا، ونجتهد في التمسك بهما والعمل بما فيهما.

والعظيم سبحانه عنده أجر عظيم. يقول تعالى: **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾** آل عمران.

موقف عظيم له أجر عظيم، لو تمسك الإنسان وحده بالموقف السليم الذي يُرضي الله تعالى، وأحسن الاستجابة للشدة التي يواجهها في سبيل الله، حتى لو تخلى الناس كلهم عن اتخاذ هذا الموقف، فهذا له أجر عظيم، فنحن نؤمن بالله العظيم وأجره العظيم، لما لا نستجيب إلا لله تعالى ورسوله، حتى في أضعف حالتنا، وفى أشدها احتياجاً، نستجيب لما أمرنا به ربنا، يقيناً أنه هو كافينا وحسبنا ونعم الوكيل، هو وحده العظيم القادر على رزقنا ونصرتنا وإزالة الخوف والألم من قلوبنا.

ويقول تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾** النساء. إن المؤمن الذي يعمل الحسنة كما يحب الله ويرضى، فيتقبلها سبحانه، فإنه يضاعفها له ويؤتيه من فضله وكرمه أجراً عظيماً، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نسارع في كل الخيرات مهما صغرت، طلباً للأجر العظيم.

والعظيم سبحانه لديه عذاب عظيم. يقول تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾** آل عمران. العذاب العظيم لمن يتفرقوا ويختلفوا من بعد ما جاءهم الهدى من ربهم، لهم عذاب عظيم، لأن هذا الاختلاف هو خناقة على الدنيا، لكن ألبسوها مظهر الدين، فارتكبوا بذلك جرم عظيم وهو استخدام اسم الله تعالى في تبرير صراعهم على الدنيا والسلطة والمال، فنحن نؤمن بالله العظيم لما نُعلي أمر وحدتنا وتماسكنا على أي اختلاف، فلو الجميع متبع لدين الله تعالى، لن يحدث بينهم تفرق واختلاف أبداً، إنما ما نراه من تشرذم وتحزب واختلاف، إنما لأن كل هؤلاء لا يتبعون دين الله تعالى، بل يتبعون أهواءهم التي ألبسوها ثوب الدين ظلماً وعدواناً، فلهم عذاب عظيم.

والعظيم سبحانه لديه بلاء عظيم، يقول تعالى: **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾** البقرة. فالله سبحانه لديه امتحانات وبلاءات عظيمة، ولابد من استقبال عظيم لهذه البلاءات من الصبر والإصرار على الحق والاستقامة حتى يأتي نصره وفتحه، فمن فعل ذلك من بني إسرائيل كان هذا فتح الله لهم، يقول تعالى: **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾** الأعراف.

والعظيم سبحانه يدعونا لتعظيم ما حرمه، يقول تعالى: **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ...﴿٣٠﴾** الحج. إن تعظيم ما حرم من مال وعمل وقول وفعل وخلق ومظهر، وإنزال هذا التحريم في القلب منزلة تليق بعظمته سبحانه، هو ما يحبه رب العالمين ويرضاه، إن الإيمان باسم الله العظيم يؤدى بالضرورة إلى عمل، لا يوجد معتقد أيان كان يثبت في قلب إنسان إلا ويعبر عن نفسه بعمل، لو لم يظهر في العمل فهو مجرد معلومة لم تصل لمرحلة اليقين، لذلك فإن الإيمان بالله العظيم يؤدى إلى تعظيم حرماته بالقلب وبالتالي في الأعمال، فكل ما حرمه العظيم سبحانه من كذب وبخل وظلم وإيذاء وكبر وسرقة وقتل وعدم التزام بحدود الله وإهلاك النفس والمال، وكل ما بينه سبحانه من معاصي، سيتجنبها المؤمن باسم الله العظيم ويخشى الوقوع فيها ويسارع بالاستغفار منها إذا وقع فيها، هذه هى دلالة الإيمان بالعظيم سبحانه.

ويقول تعالى: **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾** الحج. الجانب الثاني بعد تعظيم ما حرم، تعظيم ما أمر به، والشعائر جمع شعيرة وهي ما ندب الشرع إليه وأمر بالقيام به، فكلما عظمت أمر الله فقمت به على أحسن وجه وبأحسن صورة وفى الوقت الذي يحبه الله ويرضاه، فقد آمنت بالعظيم.

ويحذرنا العظيم من الشرك لأنه ظلمٌ عظيم، يقول تعالى: **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾** لقمان. الإشراك بالله تعالى ظلم عظيم للنفس، لأنه يمنعها من حسن الاتصال بالعظيم ويحرمها من فلاح الدنيا والآخرة، فهو المالك المعطى الرزاق وحده على وجه الحقيقة، فإذا أشرك الإنسان مع الله من يعتقد أنه قادر على أن يمنحه أو ينفعه أو يضره، فإن الله تعالى يدعه لمن أشركه معه، فلا يجنى سوى الخسران.

وتعبر هذه الآية الكريمة عن تعريف بعض أنواع الشرك، يقول تعالى: **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾** يونس.

أساس كل أنواع الشرك أن يعتقد الإنسان أن هناك من يمكنه أن ينفعه أو يضره من دون الله تعالى، لأنه بهذا أشرك مع الله مالكاً آخر، وملكاً آخر، ورازقاً آخر، وحكيماً آخر، وعليماً آخر...، وهذا كذب وافتراء عظيم على الله تعالى، وخطورة هذا الأمر على المسلم، أنه سيسمع ويطيع لمن يعتقد أنه يمكنه أن ينفعه أو يضره لأنه بالطبيعة البشرية يبحث عما يحقق له المنفعة، ويبعده عن الضرر.

وفي هذه الآية الكريمة، أعتقد البعض أن هناك من الآخرين، سواءً كانوا أصناماً أو بشراً أو جماعاتٍ أو أيان كان، يملكون الشفاعة عند الله لهم ليحقق لهم ما يريدون من منافع، أو ليبعد عنهم ما يخشون من ضرر، فعبدوهم، أي أطاعوهم فيما يأمرون وينهون، وإن لم يأمر به الله، أو بخلاف ما يأمر به الله، ويبين هذا المعنى رواية عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ"، قَالَ: " أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ " جامع الترمذي.

وفي رواية أخرى، عَنْ غُطَيْفٍ الْجَزَرِيِّ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ"، قَالَ: قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، قَالَ: " أَجَلْ، وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ " السنن الكبرى للبيهقي.

ولن يفلح هؤلاء الذين يحتكرون الفهم عن الله في جعل الناس يتبعونهم إلا إذا منعوهم من التفكير واستخدام عقولهم التي هي مناط تكليفهم، فهؤلاء يدعونهم لتحريم استخدام عقولهم حتى لا يصبح أمامهم إلا طاعتهم من دون الله تعالى، فيصبحوا من المشركين.

فحتى لو كانوا رجال الدين الذين هم على علم ودراية بعلوم الدين، فإن اتباعهم بلا دراية بما أمر به الله تعالى وبما نهى، يعني عبادتهم من دون الله، ويعني اشراكهم مع الله فيما اختص به من تقرير ما هو حرام وما هو حلال، ويؤدي هذا الاتباع بلا علم إلى الاعتقاد بأنه يكفي اتباعهم حتى يشهدوا للمسلم بالصلاح، وكأنهم سيشفعون له، وهذا شرك بالله تعالى.

وقد يكون الإشراك لما يعتقد المسلم أن هذه الجهة أو البلد هى التي ترزقه، فيعصي الله تعالى لينال رضاها، فهو يؤمن أنها تنفع وتضر، وقد يكون الإشراك بالأولاد، وقد يكون بالأموال، وأخطرهم أن يكون الإشراك بأهواء النفس، يقول تعالى: **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾** الجاثية. فهو يطيع أهواءه فيما تريد على غير مرضاة الله تعالى، فهو لما يطيعها يشعر بالكسب والمنفعة، ولما يعصاها يشعر بالألم والضرر، أشرك هواه مع ما يجب أن يكون لله وحده من طاعة، ومن حصول النفع والضرر.

فنحن نؤمن بالله العظيم لما لا نشرك به أحداً ولا يدانيه أحد في مكانته لدينا، فنرجو رحمته ونخشى عذابه، ونتحقق توحيده في كل أعمالنا.

عدم تعظيم العظيم يؤدي لقسوة القلب، يقول تعالى: **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾** الحاقة.

هذه الآيات الكريمة كانت محل تساؤل دائم لي، ما العلاقة بين من كان لا يؤمن بالله العظيم، وبين عدم حضه على طعام المسكين؟؟

لكن لما تفكرت في الآية من خلال سياق الآيات، وجدت أن عدم إيمانه بالله العظيم جعله يعتقد أن ماله سيغنيه عن عبادة الله وعن طاعته "**مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ**"، وجعله يعتقد أن مركزه وسلطانه سيأمنه ويحميه من الهلاك "**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**"، لقد كان يعتقد في نفسه العظمة، امتلأ قلبه بعظمته فلم يستطع أن يعظم العظيم سبحانه، فكم من متكبر بماله وسلطانه اعتقد أنهما يكفيانه عن معرفة الله تعالى وعن طاعته، وقد أدى هذا الاعتقاد لمعاصي وفواحش وتخبط في الدنيا وبعد عن رب العالمين، حتى الفطرة السليمة التي تعطف على المساكين أفسدها بتراكم معاصيه، فكان يرفض الحض على طعام المسكين، ليس اطعام المسكين، لكن حتى مجرد الدعوة لمساعدة المساكين كان يرفضها، وهذا لأن قلبه خالي تماماً من الشعور بعظمة الله تعالى "**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**"، وهذه نتيجة من نتائج عدم معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، لأن اليقين بعظمته سبحانه لابد وأن تؤدى لخشوع القلب وتواضع النفس والاشفاق على خلقه، فلما يخلو القلب من عظمة الله، تخلو الأفعال من التواضع والخشوع والعطف على المساكين وحب الخير للناس.

تسبيح العظيم (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)، ما معنى التسبيح؟ التسبيح هو أن تنزه الله تعالى عن أي نقص، فكل أفعاله وأحكامه خير مطلق لأنها نابعه من العلم الكامل والحكمة التامة والرحمة والفضل، والتسبيح أن يكون الله تعالى في القلب والعقل في مكانة لا يصل إليها أحد، يعنى تُفرده بالمكانة العليا، فهو من له الصفات العليا والأسماء الحسنى، وهو من له الكمال المطلق في كل هذه الصفات، فالعظيم تعنى أن له كل صفات ومتطلبات العظمة بصورة مطلقة. وصفاته لها صورة مختلفة تماماً عما هى لدينا، فعلمه له

صورة مختلفة تماماً عن علمنا، ورحمته تعمل بصورة مختلفة تماماً عن رحمتنا، عقابه له صورة مختلفة تماماً عن عقوباتنا، ونفسه، وعرشة، وكلامه، ووجوده.

هو سبحانه متفرد في كل الصفات، له الكمال والجمال والجلال، فسبحان ربى العظيم، تعنى أنك يا ربى لدى في مكانة لا يرقى إليها أحد لأنك العظيم، وهذا المعنى نحن في حاجة لتكراره في صلاتنا عشرات المرات يومياً ونحن منتبهون لهذه المعاني لكي نحَفظ ونُحافظ على المكانة العليا للعظيم في أنفسنا وقلوبنا، وبالتالي في حياتنا اليومية.

ويصف العظيم سبحانه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام بأنه على خلق عظيم، يقول تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾** القلم. مدح رب العالمين رسوله بما هو من عمله ومجهودِه مع نفسه، وهو الخلق العظيم، فإيمانه بالله العظيم جعله يعظم كل ما عظم، فمثلاً عظم خُلق مقابلة السيئة بالحسنة كما أورد ربنا بآيات القرآن أن صاحبها له حظ عظيم عند رب العالمين، فاتصف بهذه الصفة وغيرها مما عظمة الله، فأصبح على خلق عظيم عليه الصلاة والسلام. وكل مسلم يعظم ما عظمه الله، فله نصيب من هذا الخلق العظيم.

** وهناك مفارقة في تعريف العظيم للحظ العظيم، وتعريف الناس له، أحب أن نتبينها كي نعرف من هو العظيم عند الله تعالى، يقول تعالى على لسان قوم قارون الذين وقفوا على جانبي الطريق وهو يمر بموكبه: **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾** القصص. اعتقدوا أن ذو الحظ العظيم هو من يملك الأموال الطائلة ولو كان مصدرها حرام وتنفق في الحرام، بينما ذو الحظ العظيم عند العظيم سبحانه في قوله: **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾** فصلت. عند العظيم سبحانه، ذو الحظ العظيم من يقابل السيئةَ بالحسنة، ذلك لأنه تصرف صعب جداً على النفس لا يستطيعه فعلاً إلا من صبر وجاهد نفسه، من أجل هذا فهو ذو حظ عظيم عند العظيم سبحانه، ولنا أن نتخيل عظم هذه المكانة ورفعتها.

رابعاً: التخلق باسم الله العظيم.

نتخلق بهذا الاسم بألا نتعاظم في أنفسنا وألا نتعاظم على خلق الله، فإن التعاظم والكبر مفتاح كل شر، مفتاح للجهل والبخل والقسوة والجحود والكلام الجارح، يمكن أن نضع كل سوء الخلق فيمن عنده تعاظم وتكبر. وعكس التعاظم التواضع، فالتواضع مفتاح لكل خير، مفتاح الإقبال على التعلم، فمستحيل يُقبل على التعلم متعاظم متكبر، والتواضع مفتاح الرحمة والإنفاق والكرم والمودة واللسان الطيب والصلة والبر، كل حسن الخلق يبدأ من التواضع.

يقول د. النابلسي عن اسم الله العظيم: "إذا رأيت الله عظيماً ينبغي أن تعظم ذاته، وأن تعظم شعائره وأن تعظم أمره، وأن تعظم نهيه أن تعظم قرآنه، أن تعظم بيته، أن تعظم المؤمنين، من أدرك عظمة ربه صغرت الدنيا في عينيه وانتقلت من قلبه إلى يديه..

أدب المؤمن مع العظيم أن تتضاءل نفسه أمامه، أن يشعر بالافتقار إليه، أن يشعر أن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه بكل شيء، أن تذوب نفسه أمام عظمة الله، هذا من أدب المؤمن مع اسم الله العظيم، الآن من هو العظيم في نظرك؟ هل هو أصحاب الأموال الطائلة؟ لا، هو المؤمن الذي عرف الله، لذلك قالوا: دققوا في هذا القول من تعلم وعمل بما علم ثم علم الغير فذلك يدعى في السماء عظيماً"

وفي الأذكار نرى لاسم الله "العظيم" مكانة عالية، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ، يَقُولُ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ". وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ".

وفي ختام حديثنا عن اسم الله العظيم، ندرك أن القضية ليست معرفةً تُحفظ، ولا كلماتٍ تُقال، بل هي حقيقةٌ يجب أن تسكن القلب وتظهر في السلوك. فبقدر ما نعظم الله في قلوبنا، بقدر ما تستقيم حياتنا، وتصح قراراتنا، وننجو من التعلّق بكل ما سواه.

إن استحضار عظمة الله تعالى يجعل العبد يراقب نفسه في الصغيرة قبل الكبيرة، ويُقدم أمر الله على هواه، ويطمئن قلبه مهما اضطربت الدنيا من حوله، لأنه يعلم أن له ربًا عظيمًا بيده كل شيء. فلا يخاف إلا منه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه.

وإذا ضعف هذا المعنى في القلب، عظُمت الدنيا في أعيننا، وكبُرت المخاوف، وتعلّقنا بما لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.

فحقيقة الإيمان باسم الله العظيم أن نُعظِّم ما عظّم، ونُجِلَّ ما أجَلّ، ونمتثل لأمره، ونجتنب نهيه، ونعيش في كل أحوالنا بين الخشية منه، والرجاء فيه، والتوكل عليه.

نسأل الله سبحانه أن يملأ قلوبنا بعظمته، وأن يجعلنا من الذين يعرفونه حق المعرفة، فيعظمونه حق التعظيم، ويعبدونه حق العبادة.

الفصل السادس

الأعلى

الأعلى

إن معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى هي أعظم أبواب الإيمان، وأقرب الطرق إلى تحقيق العبودية الحقة، ومن هذه الأسماء العظيمة اسم الله "الأعلى"؛ ذلك الاسم الذي يملأ القلب تعظيماً، ويورث النفس خضوعاً، ويُعيد ترتيب حياة الإنسان على أساس صحيح.

فإذا استقر في القلب أن الله هو الأعلى في كل شيء: في قدره، وعلمه، وحكمته، ورحمته، وقوته؛ تغيّر نظر الإنسان إلى الحياة، وتبدّل فهمه للأحداث، واطمأن قلبه لقضاء الله وقدره. ولم يعد يَزِن الأمور بميزانه القاصر، بل بميزان من يعلم أنه الأعلى.

ومن هنا تأتي أهمية التأمل في هذا الاسم الجليل، ليس فقط لفهم معناه، بل للانتقال به من المعرفة النظرية إلى الإيمان العملي الذي ينعكس على السلوك والعبادة والتعامل مع الله ومع الناس.

وسوف نستعرض اسم الله تعالى (الأعلى) من خلال النقاط التالية:

أولاً: معنى اسم الله الأعلى في اللغة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الأعلى وما يتلازم معه.

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الأعلى ونطبقه في حياتنا

رابعاً: التخلق باسم الله الأعلى.

أولاً: معنى اسم الله الأعلى في اللغة

الأعلى اسم تفضيل من علا، أعْلَى شَأنَهُ: رَفَعَ مِنْ مَقَامِهِ، عِلْيَةُ القوم: أشرافهُم وصفوتهم وأرفعهم قدرًا وأسماهم مكانةً. إذاً الأعلى يعنى الأرفع مقاماً والأرفع قدراً والأسمى مكانة. واسم الله تعالى "الأعلى" بإضافة الألف واللام، يعنى هو وحده في أرفع وأشرف مكانة، فلما نقول الأعلى فلا يكون أحدٌ أعلى إلا الله تعالى، هو وحده من يستحق هذه المكانة الفريدة.

ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الأعلى وما يتلازم معه.

نبدأ بالسورة العظيمة التي كان يحبها رسول الله عليه الصلاة والسلام عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ " يُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى "

يقول تعالى: **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا**

يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ .

كل ما في هذه السورة يوضح ويبين لنا لماذا ربُنا هو الأعلى، إن فهم هذا الاسم العظيم هام جداً لأنه يؤثر تأثيراً مباشراً على حياتنا وخشوعنا في الصلاة، وسنبدأ بالتعرف على معنى جديد ورائع للتسبيح، سينقلنا نقلة نوعية في ديننا وفهمنا له ومعرفتنا بالله تعالى وكيف نسبحه ونحبه، وسنرى كيف أن التسبيح بفهمه السليم يعيننا على الطاعة، وعدم التسبيح يؤدى حتماً للمعصية.

أول كلمة وأول أمر (سَبِّحِ)، فما معنى التسبيح: الأمر سَبِّحْ، والماضي سَبَّحَ وبدون تضعيف الباء تصبح سَبَحَ، فإذا قلنا: سَبَحَ فلان في الماء أي حافظ على وجوده عند أعلى نقطة من الماء، السَّبَّاحُ: من يجيد العَوْم أو السباحة. فمن خلال هذا المعنى يكون سَبِّحْ يعنى حافظ على مقام الله تعالى لديك في أعلى نقطة وأعلى مقام طول الوقت وفى جميع الأحوال، وهذا الذي يسبح إنما هو من يسير في اتجاه واحد وهو الأخذ بسنن الله تعالى، سَبَّحَ لله: عَظَّمَهُ وَمَجَّدَهُ وَنَزَّهَهُ.

"سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" كيف أسبح الله تعالى وأجعله عندي هو الأعلى، العلماء قالوا إن التَّسْبِيحُ هو التنزيه وسُبْحَانَ الله معناه التنزيه لله تعالى، كأني أقول أُبرئُ الله من كل سوء ومن كل نقص أعتقد وجوده في أي قدرٍ أو في أي كائن، وسبح الله يعنى نزّهه تعالى عن جميع النقائص، يقول د. النابلسي (بتصرف):

(المؤمن يسبح ربه من خلال تنزيه أسمائه وصفاته أن تشبه صفات البشر بما في صفات البشر من نقائص، يقول تعالى:﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ سورة الأنفال.

المكر في البشر صفة سيئة وهى نقيصة لأنها تستخدم في الشر، لكنها لما تكون صفة في حق الله تعالى، فإننا نسبحه أي ننزهه سبحانه عن كل ما في هذه الصفة من نقائص وشرور، لأنها عندما تكون في حق الله تعالى فهى تستخدم للخير ولصالح البشر، فهو سبحانه خير الماكرين لأنه يمكر لإظهار الحق وإبطال الشر، وهذا ما بينه لنا في آياته. فلا يجب إطلاقاً أن أصف صفة المكر عند الله تعالى كما أصفها عند البشر، بل أسبحه وأنزهه عن ذلك، ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ أي وجه صفَاتِهُ كلها توجيهاً يليق بذاته العظيمة الرحيمة العليمة الحكيمة.. ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ أي نزّهه عن مشابة صفاته لصفات البشر، ويقول د. النابلسي: (ومتى تستطيع أن تنزّهه عما لا يليق به؟ إذا كنت تعرفه، وإذا جاءك خبر سيء عن إنسان، فَمَنْ ينفي هذا الخبر؟ من يعرفه، فإن كنت تعرفه، تنفي عنه النقص، إن كنت تعرفه تنفي عنه ما لا يليق به. إذاً لا يستطيع مسلم أن يُسَبِّحَ الله عز وجل إلاَّ إذا عرفه..)

عندما قرأت هذه المعاني القيمة، تذكرت موقف حدث معي من سنين طويلة عندما كنت لا أتجاوز الخامسة عشر، موقف أتذكره جيداً لأنه أثر في وترك تساؤلاً هاماً بداخلي.

كنت في مناسبة ما وجلست بجانب سيدة في نحو الخمسين، لا توجد بيننا معرفة سابقة، لكن فوجئت أنها تحكي لي عن أمر خاص بها، بدأت تحكي لي عن احساسها بالظلم والمرارة والألم بسبب أن أخاها قد اغتصب حقها في الميراث، ورغم ذلك هو يحيا الآن في شقة واسعة وأولاده في أحسن مدارس ومبسوط وحالته كويسه، بينما هى تعيش في شقة ضيقة ومريضة وحالتها ضنك،

ولا أذكر بماذا ذكرت أولادها وزوجها، كل الذي أذكره من هذه المحادثة، كم المرارة وهى تقول فين بقى عدل ربنا يعنى واحد سرق وظلم يعيش كده وأنا أعيش في الضنك ده!! أنا أذكر أني تألمت لها جداً لأنها كانت زعلانه من ربنا، وشعرت أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك، لكن لم أعرف الرد عليها، لم أعرف كيف أنزه ربنا عن النقص في العدل الذي كانت تراه هذه المرأة، لم أستطع فعل هذا إلا بعد أن قرأت وتعلمت وبحثت عن الإجابات للأسئلة الهامة في حياتنا، ودرست وفهمت بقدر استطاعتي قوانين الله تعالى وأقداره التي ذكرها لنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكان نتيجة هذا البحث كتابي (فهم الأقدار).

لما فعلت ذلك، استطعت أن أنزه ربنا عن نقص الحكمة والعدل الذي كانت تشعر به، هى حكمت بأن هذه الأحداث والأقدار ليست بعادلة، لأنها حكمت من خلال معيارها الشخصي لأنه المعيار الوحيد الذي تعرفه، فمعيارها للعدل أن الظالم لابد أن يحرم مباشرة من الحياة التي تبدو لها سعيدة، وأنها المظلومة لابد أن يرد لها في الحال حقها، وأنزلت هذا الحكم على فعل الله تعالى، فبدا لها أن ما يحدث ليس بعدل، لم تحاول أن تعرف ما هى قوانين الله التي أنزلها، وما معنى علمه وحكمته وعدله، لم تتعلم قانون الله بأن العطاء والمنع كلاهما امتحان، فالعطاء لا يعني رضا الله تعالى عن ظلم هذا الإنسان، والمنع لا يعني إهانة المظلوم أو اهماله ونسيانه، إن رضا الله تعالى هو لمن ينجح في الامتحان سواء كان الامتحان بالعطاء أو المنع، وأن الدنيا دار اختبار وأن الحساب الختامي بالآخرة، هى تعرف الله معرفة سطحية مشوشة، هى أقرب للجهل بالله من معرفته، فمن لا يعرف الله تعالى لا يسبحه.

يقول د. النابلسي (بتصرف): "لا يستطيع رجل أن يُسَبِّحَ الله عز وجل إلاَّ إذا عرفه، لكن المسلمون يفرغون هذه الكلمات العظيمة من مضمونها، حينما يفهمون سبحان الله أن تمسك مسبحة وتقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، والقلب ساه ولاه بلا معرفة حقيقية بالله تعالى، والأفعال بعيدة تماماً عن التسبيح، فالتسبيح هو التنزيه **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾** أي تَبحَّر في أسمائه الحسنى، تعرّف إلى الله عز وجل كي تستطيع أن تسّبحه. المسلمون الان يعتمدون على الفهم السطحي المتداول لفهم صفات الله وأفعاله فهم بهذا لا يسبحونه، فمثلاً إذا قرأت: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ سورة الشمس: ٨. فإذا كنت مسّبحاً وتعرف مسبقاً صفات ربك وأسمائه الحسنى فتقول: ألهمها فجورها أي ألهمها أن عملها هذا فجور، وعملها هذا من التقوى، ولها أن تختار، أما إن كان علمك بالله تعالى سطحي ولم تكن مسبحاً تقول: الله ألهمها الفجور، ألهمها أن تفعل الفجور ثم حاسبها عليه وأدخلها النار، فتتهم الله تعالى بنقص الحكمة والعدل.

وإذا قرأت: **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾** آل عمران. إذا كنت مسبحاً فأنت تعرف أن مشيئته متعلقة بالرحمة المطلقة والخير المطلق والحكمة المطلقة والعلم الكامل، فهى مشيئة مبنية على العلم والرحمة والخير لكل العالم، وإذا كنت غير مسبح وعلمك بالله تعالى سطحي، فأول ما يتبادر إلى ذهنك أول ما تقرأ **يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** .. أن الله تعالى يختار اختيارات عشوائية فهؤلاء يرحمهم وهؤلاء يعذبهم بلا هدف ولا سبب."

وهكذا، إذا قرأنا: **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ..** ﴿٣٤﴾ (النساء). فإذا كنت مسبحاً وتعرف صفات الله تعالى وكلامه، تفهم عظم المسئولية التي ألقاها الله تعالى على الرجال، وتعرف أن القوامة إنما هى الخدمة والعناية

والرعاية والقيام بالمسؤوليات والإنفاق، علمك بالله تعالى يجعلك تسبحه، فتضعه في موضع الحكم العدل الرحيم، الذي لا يحابي أحداً ولا تفضيل عنده إلا بالتقوى.

أما إذا كنت غير مسبح، فأنت تقرأ الآية كالتالي: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله الرجال على النساء." هكذا تسوق الآية نحو هواك ولا تهتم بما تفتريه من الكذب على الله، فأنت لا تعلم عن الله شيئاً، لكن تعلم هواك جيداً وتحكم ما يتماشى معه ويرضيه.

أفهام كثيرة خاطئة، تنفى عن صاحبها معنى التسبيح وإن سبح على السبحة ١٠ آلاف مرة، فالتسبيح أن تفهم كلام الله وأفعاله بما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ثم تتصرف بناء على هذا الفهم الصحيح.

ولنرى موقف الملائكة وإبليس من التسبيح، يقول تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾**البقرة

الملائكة أظهروا تعجبهم من أن يخلق الله تعالى بشراً تكون من سلوكياته الإفساد في الأرض وسفك الدماء، ثم لما أظهر لهم رب العالمين حكمته من خلقه وهو العلم الذي ميزه به، استدركوا وقالوا سبحانك، يعنى يارب أنت تُقدر أحسن الأقدار وحكمتك وعلمك كاملة لا نقص فيها بينما نحن لا علم لنا إلا ما علمتنا، لماذا استدركوا وسبحوه، لأنهم موقنون أنه العليم الحكيم.

أما إبليس فيقول تعالى: **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾** الأعراف.

هنا ابليس حكم على علم ربنا وحكمته من خلال معاييره الشخصية، هو يرى أن النار التي خلق منها أفضل من الطين الذي خلق منه سيدنا آدم، وكأن الله تعالى لا يعلم مما خلقه ومما خلق آدم، ثم حكم أنه ليس من الحكمة أن يأمره بهذا الأمر!! لم ينزهه عن النقص في العلم والحكمة، لم يسبحه، بينما الملائكة قالت عن صدق ويقين **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**، عرفوا ربهم بصفاته وأيقنوا بها فسبحوه، بينما إبليس لم يؤمن بأنه العليم الحكيم فلم يسبحه ورفض طاعته. ثم زاد على ذلك بأن اتهم رب العالمين أنه هو من أغواه، يقول تعالى على لسان إبليس: **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾** الأعراف. عدم معرفته بأسماء الله تعالى وصفاته كلها، جعلته لا يسبح ربه، فيتهمه بأنه قدر قدراً ساقه لهذا الموقف، يتهم الله تعالى أنه أغواه، بينما هو الذي أغوى آدم وزوجه، وهذا للأسف حال الكثير من الناس الذين يرتكبون المعاصي، يَدّعون أن ربنا كتب عليهم هذه المعاصي، كأن الله هو من ساقهم إليها لأنه سبحانه كتبها من قبل، فهم فقط حققوا المكتوب، ولا يد لهم في هذا!!! هذا **تبرير إبليسي** لارتكاب المعاصي، لا يكتفي فيه المسلم الذي لا يسبح الله بارتكاب المعصية، بل يتمادى إلى اتهام رب العالمين سبحانه بأنه كتبها عليه وأجبره على ارتكابها.

إن إبليس بالرغم من أنه آمن بوجود الله تعالى إيماناً يقينياً فتكلم معه مباشرة، وأيقن باليوم الآخر، وأيقن بأنه الرب العزيز، لكنه لم يسبح ربنا ولم ينزهه لأنه لم يعرف معنى أن يؤمن بأنه العليم الحكيم، فاتهم الله تعالى بنقص العلم ونقص الحكمة، فوقع في المعاصي واستحق اللعن والطرد من رحمة الله.

فالتسبيح يعنى اليقين الكامل بكل أسماء الله تعالى وصفاته وليس الإيمان بالبعض والشك في الأُخرى، فالإيمان ببعض الصفات والعمل بها، ورفض صفات أخرى أو تجاهلها وعدم العمل بها، هو **إيمان إبليسي** لا قيمة له عند رب العالمين ولو سبح صاحبة على السبحة ألف مرة يومياً.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ بعد أن بينا معنى التسبيح، سنتناول معنى (**رَبِّكَ**)، إن أقرب اسم للإنسان هو الرب، فالمربي عليم حكيم، والمربي حافظ وراعى وعطوف، والمربي يمدنا بأسباب الحياة، فالرب هو الراعي الحافظ القائم على كل نفس بما كسبت، فالإنسان في أمس الحاجة لأن يكون ربه هو الأعلى، لأنه لو لم يوقن أنه الأعلى في كل الصفات التي يحتاجها في حياته، يعنى ليس هو الأعلى في الرزق والعلم والحكمة والقدرة واللطف، والعزة والصبر والعفو، فسوف يبحث عن بديل يضعه هو الأعلى، يثق فيه ويحبه ويطيعه ويعظمه، حتى يحصل منه على احتياجاته، وأيان كان هذا البديل، فهو عاجز ومتغير وجاهل ولا يملك ولا يبقى، هذا البديل يورده المهالك، فأي هوى شخصي أو جهة أو جماعة أو أيان كان، يجعله عنده الأعلى بينما هو لا يستحق هذه المكانة نهائياً سيتسبب له في خسارة فادحة، وسيورثه التعاسة في الدنيا والآخرة، فكل احتياجات الإنسان لن يجدها عند هذه الجهات، فالله تعالى الرب وحده هو الأعلى لأنه الملك القادر العليم القريب المجيب.

فسبح اسم ربك الأعلى يعنى اعرف ربك باسمه وصفته الأعلى، حتى تعبده لأنه الأعلى، حتى تعرفه وتحبه لأنه الأعلى، حتى ترفع مكانته عندك لأنه الأعلى.

إن تسبيحنا في السجود باسم الله (الأعلى) وتكرارها يومياً على مدى حياتنا، إنما ذلك من أجل أن تستقر قلوبنا وعقولنا على أنه سبحانه الأرفع مقاماً والأرفع قدراً والأسمى مكانة، وهو وحده المستحق للطاعة والعبادة، فهو الذي لا نهاية لعلّوه ولا نهاية لقدرته، وهو المسيطر القادر، وكل ما ظننته علىّ فالله أعلى منه، وكل ما خضعت له لأنه علىّ، الله تعالى أعلى منه، كل ما تبعته لأنه علىّ، الله تعالى أعلى منه.

فهم هذه المعاني واستقرارها في القلب، هى الإجابة الصحيحة لكل من يسأل عن كيفية الخشوع في الصلاة، إنها بمعرفة الله تعالى وصفاته وفهم حقيقية معاني الكلمات التي نرددها بالصلاة، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ:" فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ"، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ: " اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ "، فَلَمَّا نَزَلَتْ:"سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى"، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ: " اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ ". سنن أبي داود.

نبدأ في شرح الآيات التي تلي ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ والتي تبين وتوضح لماذا ربنا هو الأعلى، يقول تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾** مما يتلازم مع اسم الله الأعلى وما يبينه ويوضحه أنه خلق فسوى، لماذا هو الأعلى؟ لأنه هو من خلق فسوى، هو من أوجد من العدم، هو من خلق على غير مثال سابق.

لغةً: السَّوِيُّ هو المُعتدِل، المستقيم، الصحيح، الذي لا عيب فيه الخالٍ من الأضرار.. وَلَدٌ سَوِيٌّ : لاَ عَيْبَ فيهِ، تامُّ الخِلْقَةِ.

فلما نتكلم عما خلقه رب العالمين فسواه في أحسن صورة وجعل كل ذرة فيه وكل تكوين مؤدى لدوره بإتقان وابداع وروعة تعجز اللغة عن وصف كم الجمال والتناسب والتناسق والدقة التي بها، سنضرب بعض الأمثلة البسيطة جداً لما خلقه فسواه في السماوات والأرض من كائنات في عالم البشر وعالم الحيوان وعالم البحار وعالم النبات وغيرهم، خلقُه الذي خَلقه في أحسن صورة.

ولكي نقترب من معنى **﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾** سنستعرض جهازاً واحداً داخل جسم الإنسان وهو **(الكبد)** إن الكبد هو أحد أعظم الأدلة على دقة التصميم الإلهي في جسم الإنسان تتجلى قدرة الله تعالى فيه من خلال عدة جوانب إعجازية:

١. **هو المصنع الكيميائي الشامل:** إنه عضوٌ واحدٌ يقوم بأكثر من **٥٠٠وظيفة** في آن واحد دون توقف أو تداخل. هذا التنسيق المذهل بين وظائف التنقية، والتخزين، والتصنيع، والتحويل الكيميائي يفوق قدرة أكبر المصانع التي بناها البشر.

٢. **قدرة التجدد (إعجاز البناء)** :جعل الله للكبد خاصية فريدة لا توجد في أي عضو آخر، وهي قدرته على **بناء نفسه من جديد** .فلو فُقد منه ما يصل إلى ٧٥%، يستطيع الكبد العودة لحجمه الطبيعي ووظائفه الكاملة خلال أسابيع قليلة، وهو ما يجعل عمليات زراعة الكبد من متبرع حي ممكنة.

٣. **نظام الترشيح الذكي (الفلترة)** :الكبد هو خط الدفاع الأول؛ فهو لا يكتفي بتنقية الدم، بل لديه القدرة على التمييز بين المواد النافعة فيمتصها، والمواد السامة فيكسرها ويحولها لمواد غير ضارة.

٤. **تخزين الأمانات** :من حكمة الله أن جعل الكبد "مخزناً استراتيجياً". فهو يعرف متى يخزن السكر والفيتامينات، ومتى يطلقها بدقة متناهية ليحمي الدماغ وبقية الأعضاء من هبوط الطاقة المفاجئ.

٥. **الموقع والحماية** :وضع الله الكبد في الجهة اليمنى تحت الحجاب الحاجز مباشرة، محمياً بالقفص الصدري، مما يعكس تقديراً إلهياً لحماية هذا العضو الحيوي من الصدمات الخارجية.

٦. **تنقية الجسم من السموم** :يعمل الكبد كمرشح (فلتر) يقوم بتصفية الدم القادم من الجهاز الهضمي، حيث يفكك الأدوية والسموم والفضلات الأيضية ويتخلص منها بأمان.

٧. **دعم الجهاز المناعي** :يحتوي الكبد على خلايا متخصصة (خلايا كوبفر) تعمل على التهام البكتيريا والفيروسات التي قد تدخل الجسم عبر الأمعاء.

٨. **إنتاج العصارة الصفراوية** :**(Bile)** يفرز الكبد هذا السائل الضروري لتكسير وهضم الدهون وامتصاص الفيتامينات الذائبة فيها مثل ..(A, D, E, K)

٩. **مخزن استراتيجي للعناصر الغذائية** :يقوم بتخزين الفيتامينات مثل (A, D, E, K, B١٢) والمعادن الهامة كالحديد والنحاس، ويطلقها في الدم عند حاجة الجسم إليها.

١٠. **تنظيم طاقة الجسم** :يخزن السكر الزائد (الجلوكوز) على هيئة جليكوجين، ويقوم بتحويله مرة أخرى إلى جلوكوز لإمداد الجسم بالطاقة عند الحاجة المفاجئة أو نقص السكر.

١١. **تخليق البروتينات وعوامل التجلط** :ينتج الكبد معظم بروتينات الدم الضرورية، بما في ذلك "عوامل التجلط" التي تمنع النزيف وتساعد الجروح على الالتئام.

١٢. **تكسير خلايا الدم الحمراء القديمة** :يقوم الكبد بتفكيك خلايا الدم الحمراء التي انتهى عمرها الافتراضي.

١٣. **إنتاج الكوليسترول** :يُصنّع الكبد الكوليسترول وبروتينات خاصة (Lipoproteins) ضرورية لنقل الدهون عبر الجسم وإنتاج بعض الهرمونات.

١٤. **تحويل الأمونيا إلى يوريا** :عند تكسير البروتينات، تنتج مادة سامة تسمى "الأمونيا"؛ يقوم الكبد بتحويلها فوراً إلى "يوريا" أقل سمية ليتم طردها عبر البول.

١٥. **معالجة الهيموجلوبين** :يستخلص الكبد الحديد من هيموجلوبين الدم ويقوم بتخزينه لإعادة استخدامه لاحقاً.

١٦. **تنظيم توازن الهرمونات** :يعمل الكبد على تكسير الهرمونات الزائدة في الجسم (مثل الإستروجين والأنسولين وهرمونات الغدة الدرقية) لمنع تراكمها وتسببها في مشاكل صحية.

١٧. **تنظيم السوائل** :ينتج الكبد بروتين "الألبومين" الذي يمنع تسرب السوائل من الأوعية الدموية إلى الأنسجة المحيطة (منع التورم).

١٨. **تحويل الأدوية** :يقوم الكبد بتعديل التركيبة الكيميائية للأدوية التي نتناولها لكي يتمكن الجسم من استخدامها أو التخلص من بقاياها بأمان.

١٩.**إنتاج الحرارة** :نتيجة العمليات الكيميائية الكثيفة التي تجري بداخله، يساهم الكبد بشكل كبير في توليد حرارة الجسم والحفاظ على درجة حرارته ثابتة .

وهكذا، خلقه سبحانه فسواه على أحسن وأبدع صورة، فهو يتراوح طوله بين ١٢ - ١٥ سم، وعرضه من ١٥ - ٢٠ سم. وزنه في المتوسط لدى البالغين نحو ١٦٠٠جرام.. يقوم ب٥٠٠ وظيفة.. وقال علماء آخرون بل ٧٠٠ وظيفة..وقال آخرون بل آلاف الوظائف.. فالكبد المدينة الصناعية الكبرى هذه تنتج ٥٠ ألف إنزيم لازم للعمليات الحيوية للهضم، يمر من الكبد نحو ١:٥ لتر من الدم كل دقيقة بغرض استخلاص المواد الخام المطلوبة للجسم أو لتنقية الدم أو لصناعة مواد خام يحتاجها الإنسان، يعنى أن الكبد في حياة إنسان عمره مثلاً ٦٠ سنة، قد قام بالتعامل مع حوالى ٤٦ مليون لتر من الدم.

لتقدير حجم الإعجاز في الكبد، يرى العلماء والمهندسون أنه **من المستحيل حالياً بناء آلة واحدة** تقوم بكل ما يفعله الكبد، ولكن إذا حاولنا محاكاة وظائفه الرئيسية فقط، فسنحتاج إلى ما يشبه **"مدينة صناعية متكاملة:"**

١. **معامل كيميائية عملاقة** :للقيام بأكثر من ٥٠٠ عملية كيميائية حيوية (تصنيع بروتينات، إنتاج كوليسترول، تكسير سموم) سنحتاج إلى مختبرات كيميائية معقدة تشغل مساحات شاسعة.

٢. **محطات تكرير وتصفية** :للقيام بوظيفة تنقية الدم من السموم والأدوية، سنحتاج إلى أنظمة فلترة مجهرية فائقة الدقة والذكاء تفوق قدرة أجهزة غسيل الكلى بمراحل.

٣. **مخازن لوجستية ذكية** :لتخزين السكر، الفيتامينات، والحديد، وإطلاقها في الدم بالثانية والجزء من المليجرام عند الحاجة، سنحتاج إلى أنظمة حاسوبية ومخازن ضخمة لإدارة المخزون.

٤. **محطة معالجة نفايات** :لتحويل الأمونيا السامة إلى يوريا ومعالجة خلايا الدم الميتة.

لذلك، يقول العلماء إن **"الكبد هو العضو الذي لا يمكن صناعة بديل له"**؛ فحتى الأجهزة التجريبية التي تسمى "الكبد الصناعي " (Artificial Liver)هي في الحقيقة أجهزة ضخمة خارج الجسم تُستخدم فقط بشكل مؤقت في المستشفيات لمحاولة إبقاء المريض على قيد الحياة حتى تتوفر عملية زراعة كبد بشري.

فالكبد مصنع كيمائي لا يتوقف، يعمل ٢٤ ساعة، طول مدة حياة الإنسان، يقوم بأعباء الإنتاج والتخزين وإعادة التدوير والتوزيع لأعداد ضخمة من المواد الغذائية اللازمة لحياة الإنسان وصحته، ولكي يقوم الكبد بوظائفه خلق له رب العالمين ٣٠٠ مليار خلية، الكبد به ٣٠٠مليار خليه، هذا التعقيد المذهل في العضو الذي لا يتجاوز وزنه ١,٥ كجم يدفع الإنسان للتأمل وقول **"سبحان الله "**في بديع صنعه. **﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾** سبحانه الأعلى.

ثم نأخذ مثلاً من آياته في الطبيعة، خلق الشمس بحجم وبعد في غاية الدقة والإبداع، لو اقتربت لاحترقت الأرض، ولو ابتعدت لتجمدت! بُعد القمر عن الأرض بحسبان، فلو اقترب نصف المسافة لتضاعف المَّد ستين ضعفاً. وبالتالي يصبح المَّد والجزر مئة وعشرين متراً، ولغمرت المياه معظم مدن العالم الساحلية، حجم الأرض تقدير حكيم عليم مسوٍّ. سرعة الأرض حول نفسها مسوّاة تتناسب مع طاقة الإنسان. اثنا عشر ساعة نهار، واثنا عشر ساعة ليل، فلو دارت أسرع وأُلغي القمر لدارت الأرض حول نفسها دورة كل أربع ساعات. معنى ذلك أن النهار ساعتان، والليل ساعتان، خلق محور الأرض مائل بدرجة دقيقة لكي يؤدى لتعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة.. سبحانه الأعلى ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**﴾

لقد مَن الله علينا بما يرينا آياته في السموات والأرض ونحن داخل بيوتنا، قنوات فضائية تصور لنا آياته في الكون، تُذهل الرائي من دقة وروعة ما يراه من خلق الله تعالى، كم التفاصيل البديعة في كل حشرة وكل نبته وكل كائن حي، شيء يجعل المشاهد لا يتوقف عن تسبيح الخلاق العظيم الأعلى الذى خلق فسوى وأعطى كل كائن حي كل هذا الجمال وكل الإمكانيات لكي يعيش بأحسن صورة، وصدق الله تعالى إذ يقول: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾** فصلت.

ثم الاستحقاق الثاني لكونه الأعلى سبحانه، ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾، نبدأ بالإنسان، الله تعالى قدر له الحياة وقدر له الأقدار المختلفة في حياته، ثم رزقه الهدى، "وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ" الهدى هى الرسالات التي أرسلها لبنى آدم من خلال الأنبياء والمرسلين، مهمة هذا الهدى أن يُعلم الإنسان كيف يُحسن استقبال هذه الأقدار فيحيا أطيب حياة في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه الأعلى لأنه هو وحده من خلق فسوى، ثم لم يترك الإنسان يتخبط بلا هدى ولا شريعة، إنما قدر له الحياة بكل تفاصيلها، وهداه لما يحيه أحسن حياة، لو بحثنا عند كل من يتخذون آلهة غير الله تعالى، لا نجد عندهم هدى، لأنه هؤلاء الناس غالباً اتخذوا هذه الآلهة لأنه ليست لها أي رسالة ولا أي توجيه، آلهة زائفة، لا تملك رسالة ولا تملك حساب على هذه الرسالة، لكن رب العالمين الأعلى هو وحده من يخلق ويُقدر ويهدى..

﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾، من أقداره لورقة الشجر أن هداها لأن تغلق المسام التي بها صيفاً لتحافظ على نضارتها، وتفتح هذه المسام شتاءً لاستقبال الدفء والرطوبة، من هداها إلى ذلك؟ الأعلى سبحانه.

﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾، لو نظرنا لجحر النمل سنجد مادة بيضاء ناعمة جداً على مدخل الجحر، لو أخذناها وحللناها سنجدها مجموعة رشيمات القمح التي هى أول ما يظهر في بذرة القمح لما تبتدأ في التنبيت. فالنمل يعرف أن هذا معناه بداية نمو القمحة، وإذا نمت القمحة في جحر النملة خربته، فأول ما يفعله النمل أنه يقطع رشيم القمحة ويبقيه جانباً. وإذا أخذ عدساً فبعض الحبوب لها رشيمان، فيأخذ رشيمين من الطرفين، من هدى النملة إلى هذه التصرفات؟ الأعلى الذي خلق فسوى وقدر فهدى.

خلق الحيوانات كلها فسواها على أحسن صورة، ثم هدى هذه لصور التخفي البديعة، وتلك لطرق الصيد المناسبة، والأخرى لبناء الأعشاش بصورة متقنة، وغيرهم لمعرفة أماكن الماء، وهدى الطيور لمسارات الهجرة المناسبة، وهدى الأسماك لأماكن وضع

البيض وطرق حراسته، هدى جذور النباتات مختلفة الطعم في أرض واحدة تسقى بماء واحد لامتصاص المواد اللازمة لاحتياجاتها فقط وتترك الباقي لتنتج ثمرات مختلفة الطعم واللون والرائحة.

مليارات الأمثلة بعدد الكائنات الحية، متاحة لكل من يحب يقرأ أو يشاهد فيديوهات عن بديع صنع الله تعالى وهديه.. يقول تعالى: **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.. ﴿٧﴾** السجدة. ويقول تعالى: **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾** التغابن.

نبدأ في الاستحقاق الثالث لكون ربنا هو وحده (الأعلى) .. يقول تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ** ﴿٤﴾.. قال بعض المُفَسِّرين: المَرْعى يُطْلق على كُلِّ نباتٍ تُنْبِتُهُ الأرض، فهو سبحانه وتعالى أنْعم علينا بِنِعْمة الخلق والهدى، وأنْعَم علينا بنِعْمَةٍ ثالثة هي نِعْمَةُ الإمْداد، وهى نعمة الأرزاق التى يسوقها رب العالمين لكل كائن حى على وجه الأرض، فلا رازق سواه، فهو الأعلى لأنه الخالق الهادي الرزاق سبحانه وتعالى، ويمكن الرجوع لشرح اسم الله "الرزاق" الذي يدل عليه قوله تعالى "الذي أخرج المرعى".

ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الأعلى ونطبقه في حياتنا

أيضاً سورة (الأعلى) توضح لنا كيف نؤمن بهذا الاسم، يقول تعالى في بقية السورة: **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴿٩﴾**

علامة إيماننا باسم الله تعالى (الأعلى) أن نحقق هذه الآيات الكريمة، نبدأ ب **﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾** المفسرون لهم عدة آراء في هذه الآية الكريمة، إما إنها وعد من رب العالمين لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن ما ينزله عليه من القرآن وما يتلوه عليه سيدنا جبريل عليه السلام لن ينساه، أو اللام هنا ناهيه.. **فَلَا تَنسَىٰ** أى إياك أن تنسى، يعنى إما لا نافيه أي لن تنسى، أو لا ناهيه أى ينهاه رب العالمين عن النسيان، لكن لأن القرآن نسخة شخصية لكل مسلم لابد أن يقرأه كأنه موجه له شخصياً، فسوف نأخذ تفسير أنها لا الناهية لكل مسلم فينا، ففي ظل معنى الأعلى سبحانه، كيف نقرأ وكيف لا ننسى؟

القراءة لها علاقة مباشرة بصفات الأعلى سبحانه وهى: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾.. القراءة هى رؤية الكون من خلال أنه سبحانه الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى.

يقول تعالى: **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴿١﴾ العلق : لُغةً: قرأ لها عدة معاني منها: قرأ علامات الغضب على وجهه، أي لاحظها فِراسةً. قرَأ ما بين السُّطور: فهم الأمرَ المضمر، استشفّ المعنى الضِّمنيّ.

إذاً **اقْرَأْ** هنا يمكن فهمها على أنها انظر وتعرف على ما في الكون من آيات، تعرف على الكون وأنت ترى ربك الذي خلق، تعرف على عظمة الله من خلال النظر في خلقه، ونلاحظ هنا أن ربنا أغفل المفعول به يعنى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .. ماذا خلق؟

ربنا لم يذكرها.. تركها مفتوحة لتشمل كل الخلق، كل شيء تراه عينك هو من خلق الله من إبداعه، من تصميمه، منتهى الدقة والجمال والروعة. فهنا ربنا وجهنا أن القراءة الصحيحة للكون وما فيه من آيات، تكون باسم الله الذي خلق، يعنى نرى من أول كل ذرة فأصغر، وكل مجرة فأكبر، وكل كائن حي وكل جماد وكل طبيعة حولنا، هى باسم الله، هى من خلق الله، هى تنتمي لله، فهو الخالق، والخالق هو المحيي المميت وهو المالك وهو الرازق وهو العليم الحكيم والمدبر وهو من إليه المصير، تترتب كل أسماء الله تعالى وصفاته على أنه هو الخالق وحده لا شريك له.

فقوله تعالى: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾** فصلت. إذاً سنقرئك يعنى سنريك، فرب العالمين سيُقرأنا الكون وسيرينا آياته في الآفاق وفى أنفسنا، وقد حدث، وفتح لنا أبواب من العلم بمخلوقاته ورؤية عظمته وإبداعه إلى حد مذهل، فتحٌ يبين لنا أنه سبحانه هو الحق.

بهذا فإن **﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾** يعنى سنريك كل هذه الآيات التي تثبت أنه الأعلى وأنه وحده من خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى، فلا يجب أن تنساها، ولن تنساها ما دمت تنظر في الكون باسمه الأعلى.. **﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾** إلا ما كان على سبيل عدم العمد وشاءه الله، فقد ينسى المسلم خطأً أو سهواً في بعض تصرفاته أن الله تعالى هو من خلق ومن يملك ومن قدر ومن رزق، وهو يعلم هذا سبحانه لأنه هو من يعلم الجهر وما يخفى.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ التيْسير في هذه الآية هو التيْسيرُ الذي يمنحه الأعلى لمن قرأ فلم ينسى، يعنى لمن عَلم فعَمِل، فالأصل في الحياة أنَّ الإنسان إذا تعلم منهج الله تعالى وهديه وسار وِفْق الأُصول التي رَسَمَها الله عز وجل وباتِّجاه الهَدَف الذي وجهه إليه، فإنَّ **الْأَعْلَى** سبحانه يوفقه ويسر له أمره ويهديه لكل ما هو طيب وجميل.

فكيف نؤمن باسم الله **الْأَعْلَى** ونطبقه في حياتنا؟ تأتى الآية الكريمة لتجيب على هذا التساؤل.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾. فَذَكِّرْ.. أمر من رب العالمين لرسوله ولكل مسلم، ذكر بالصفة التي بُدأت بها السورة، ذكر باسم ربك (**الْأَعْلَى**) ذَكِّر أنه هو الأعلى في قربه وفى رحمته، في علمه وفى حكمته، في رزقه وفى عطاءاته، وأيضاً الأعلى في عذابه وانتقامه من الظلمة، ذَكِّر بأنه الأعلى في كل صفاته وأسمائه.

يقول د. النابلسي: "فذَكِّر، بماذا؟ بِعَظَمَةِ الله، وعدالته، وبِيَوْم الحساب وبأوامره ونواهيه، وبالدعوة إلى العمل الصالح، وبِحِفْظ الأمانة والعهْد، طبْعاً الفِعْل إذا حُذِفَ المفعول به أُضمر! لو قال الله عز وجل: َذكِّر الناس بِعَظَمَتي لصار التذكير محْدوداً، لكن فَذَكِّر فقط يعنى ذكر بِكُلِّ شيء! سواء عليك أعَرَفْتَ الناس بالله تعالى وصفاته وأسمائه أم ذَكَّرْتَهم باليوم الآخر، أم حَذَّرْتهم من عذاب النار، أم حَمَّسْتَهم للعمل الصالح، أم وقَّيْتَهُم من المعصية؛ كُلُّ هذا تذْكير.. فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير، ومنفذاً للقلوب، ووسيلة للبلاغ. ذكر {إن نفعت الذكرى}.. والذكرى تنفع دائماً، ولن تعدم من ينتفع بها كثيراً كان أو قليلاً. ولن يخلو جيل ولن تخلو أرض ممن يستمع وينتفع، مهما فسد الناس وقست القلوب وران عليها الحجاب."

تبقى صورة إيماننا بالله تعالى الأعلى، أن نقرأ آيات الله تعالى وآيات الكون باسمه **الْأَعْلَى** فلا ننساها ثم نُذكر بها، فمن يفعل ذلك، تأتى النتيجة في الآية الكريمة، **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾** تطْهير النفس هو التزكية وهذا هو الفلاح، قد أفلح من تزكى؛ أيْ قد أفلح مَن طَهَّرَ نفسه من أمراض النفس الخبيثة، من الكبر والغرور وحب الدنيا والحقد والغيرة وغيرها من المهلكات، **﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾** الذي يجتهد على نفسه ليطهرها، من خلال تعلمه لأسماء الله وصفاته ويقينه أنه **الْأَعْلَى** ، هذا سيذكر اسم ربه فيصلى، والصلاة إلى جانب معناها الذى نعرفه، تعنى الدعاء والاستغفار والتوجه لله تعالى، تعني دوام الصلة بالله تعالى، فمن زكى نفسه بمعرفة اسم الله **الأعلى** فتوجه إليه وعبده ودعاه واستغفره، فقد حقق الإيمان باسم الله تعالى (**الأعلى**).

رابعاً: التخلق باسم الله الأعلى

يقول تعالى: **لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾** النحل

يقول د. راتب النابلسي: "هذا الذي لا يؤمن بالآخرة لا يحسب حساباً ليوم الدين، ليوم الفصل، ليوم القيامة، ليوم الحق، ليوم الجزاء، عمله سيئ، أخلاقه سيئة، صفاته سيئة، عقيدته فاسد. ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ المطلق على إطلاقه، سوء في كل شيء، هذا الذي لا يقيم للآخرة وزناً، ولا يحسب لها حساباً، ولا يؤمن بها، ولا يرجو لقاء الله واليوم الآخر، له:﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾كله سوء؛ عقله، وعقيدته، ومشاعره، وتصرفاته، وأعماله، وأقواله، وعلاقاته وشركته، وزواجه، وجيرته، له فيها كلها ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ﴾"

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.. هو سبحانه الأعلى في كل الصفات العليا والأسماء الحسنى، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ونتخلق بهذا الاسم الأعلى بألا نكون مثل السوء، بل أن نكون المثل الأعلى في كل الصفات الجميلة، الأعلى في حسن الخلق، الأعلى في الرحمة والكرم والصبر والعفو وعفة اللسان ومساعدة الضعفاء، الأعلى في الصدق والعفاف والتقوى، الأعلى مع الأهل، والأقارب، والجيران والزملاء. بهذه الصورة نكون قد تخلقنا باسم الله **الْأَعْلَى**، فمن يؤمن ويوقن باسم الله **الْأَعْلَى**، فهذا يدفعه ويعينه على أن تكون أخلاقه هى **الْأَعْلَى**.

ويقول تعالى: **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾** آل عمران.. الوَهْنُ: الضَّعف وذُبولُ الحيويَّة.. الحُزن: حالة من الغمّ والكآبة باطنًا.

نتيجة للخسارة التي وقعت بالمؤمنين في غزوة أُحد، أصابتهم حالة من الاكتئاب والإحباط بحيث أصبحوا يشعرون بالضعف الجسدي والهم القلبي، فنهاهم رب العالمين عن هذه الحالة .. لماذا؟ لأنهم الأعلون، الأعلون بإيمانهم بربهم وبوعده وعلمه وحكمته وقدرته، فالله سبحانه وتعالى هو **الْأَعْلَى**، والمؤمنون الذين يؤمنون به ويوقنون بقوانينه وسننه ويحققون أوامره ونواهيه، هم الأعلون.. أعلون على الشعور بالوهن والحزن عند الخسارة، فمن يتصل بالأعلى ويوقن بقوانينه يعلم أن ما يمر به من شدائد عَرَضٌ مؤقت، وأنه إذا كان نتيجة معصية، فإنه إذا تاب واتخذ الأسباب السليمة التي أمر سبحانه باتخاذها، فسوف يعلو على هذه الأحداث

ويتجاوزها ويحقق النصر والمكسب، بهذا فإن المسلم يؤمن بالأعلى لما يعلو على الأحداث والشدائد، فلا يجعلها توهن من عزيمته ولا يسكن الحزن قلبه، لأنه اتصل بالأعلى سبحانه وأيقن أنه وحده الملك الرزاق العليم الحكيم، وأن أقداره كلها خير.

وهكذا نتخلق باسم الله تعالى (**الْأَعْلَى**) بأن نكون المثل الأعلى في معاملاتنا وأخلاقنا، وأن نعلو بإيماننا على الوهن والحزن، من خلال معرفة الله تعالى واليقين بقوانينه وسننه.

ثم أهم وأرقى وأروع صفة يجب أن يتصف بها كل مؤمن باسم الله (**الْأَعْلَى**) هى قوله تعالى: (.. **وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا**..) التوبة.

الأعلى لابد أن تكون كلمته هى العليا، عند اتخاذ قرارات حياتى، هو رقم واحد في حياتي، هو من أحب رضاه عنى وأعمل له، وأخشى بعدى عنه، كلمته هى العليا في حياتي كلها بكل تفاصيلها.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، عند كسبي وانفاقي، فلا أكسب إلا حلالاً، ولا أنفق إلا فيما يحبه ويرضاه.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، عند زواجي وعند طلاقي، فاتبع أمر الله باختيار الزوج المؤمن، واتقي الله تعالى ولا أظلم عند الطلاق.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، في معاملاتي في الحياة الزوجية، فأقدم الحب والرعاية والعفو والصبر والتفاهم والمودة والرحمة والإنفاق والصدق والأمانة، كما يحب الأعلى ويرضى.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، عند تربيتي لأولادي، فأعطيهم الاهتمام والرعاية والحب والإنفاق، فلا أعتقد أني ملكتهم، إنما هم أمانة لله في يدي، ولا أفضل أحداً على أحد، وأكون لهم المثل الذي يحبه الأعلى ويرضاه.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، في عملي ومع زملائي، فلا أكذب ولا أسرق ولا أمشي بنميمة ولا أتجسس، وأقوم بعملي بإتقان وتفان.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، مع أقاربي وجيراني ومعارفي وأصدقائي، فأحسن إليهم وأصلهم وأصبر عليهم وأساعدهم.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فى خلوتي وجلوتي، فاتقي الأعلى الذي يراني من دون الناس، فلا ارتكب الفواحش حينما لا يراني أحد، وأظهر أمام الناس بصورة التقي المصلي المتدين.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فلا أظلم الضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولا أخون من يثق في، ولا أكذب على من يصدقني.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فتكون كلمة الله عندي أعلى من كلام الناس ورأيهم في وصورتي عندهم.

إن الحرص على كلام الناس يؤدي لمظالم كثيرة جداً، لأنه في الأغلب الأعم على غير كلمة الله وأمره، فالمؤمن بالأعلى، كلمة الله عنده هى العليا، وهذا لا يعني التصادم والغلظة، لكن يعني الاصرار على العدل والعطاء والحب والتواصل والرأفة والرفق، والقيام بما أمر الله تعالى به.

كل تفاصيل حياتي، تكون للأعلى فيها الكلمة العليا، وبالتأكيد سوف ننسى أو نخطأ، لكن الموقن بالأعلى سريع التوبة وسريع الاستغفار وسريع العودة لله تعالى.

ومن لم يكن للأعلى الكلمة العليا في حياته، وكان الأعلى عنده نفسه وأهوائه، فلم يؤمن به، وإن قال مائة مليون مرة "سبحان ربي الأعلى".

ثم نتخلق باسم الله **الْأَعْلَى** عندما نتواضع للأعلى فلا نعتقد في أنفسنا العلو على خلقه كما قال تعالى على لسان فرعون: **فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾** النازعات.

فمن يعتقد في نفسه أنه الأعلى، يُحجب عن الأعلى، فينسى نفسه، فيظلم ويتجبر ويتكبر ويهين الناس، فيأخذه أخذ عزيز مقتدر كما أخذ فرعون، فالتواضع لله ولخلق الله، أهم صفات من يؤمنون باسم الله الأعلى. يقول تعالى: **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿٨٣﴾ القصص.

وفي ختام هذا التأمل في اسم الله "الأعلى"، يتبين لنا أن هذا الاسم ليس مجرد لفظ نردده في صلاتنا، بل هو منهج حياة متكامل، يُعيد تشكيل وعينا، ويضبط مشاعرنا، ويوجه قراراتنا.

فحين يوقن القلب أن الله هو الأعلى، يعلو على الشهوات، ويتحرر من الخوف من الخلق، ويزهد في التعلق بغير الله، ويثبت أمام الفتن والابتلاءات. وحين تكون كلمة الله هي العليا في حياة الإنسان، يصبح كل تصرف وكل اختيار انعكاساً لهذا الإيمان.

إن أعظم ما نخرج به من هذا الاسم الكريم، أن نُعلي الله في قلوبنا حق التعظيم، وأن نُنزهه حق التنزيه، وأن نجعل أوامره ونواهيه فوق كل اعتبار، وأن نسعى لأن نكون من الذين يعلون بإيمانهم وأخلاقهم، لا بكبرهم وتجبرهم.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من المسبّحين له حق التسبيح، العارفين به حق المعرفة، العاملين بأسمائه وصفاته، حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب، نقف أمام حقيقة عظيمة، وهي أن الحديث عن أسماء الله الحسنى ليس حديثاً عن معلومات تُحفظ أو معانٍ تُردد فحسب، بل هو حديث عن الطريق إلى الله تعالى، وعن المعرفة التي تُحيي القلب وتُقوِّم السلوك وتمنح الإنسان معنى وجوده ووجهته في الحياة. فكل اسم من أسمائه سبحانه نافذة على رحمته وكماله وعظمته، وكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد له حباً، وخشيةً وثقةً وإنابة.

لقد حاولنا في هذه الصفحات أن نقترب من بعض هذه الأسماء العظيمة، لا لنحيط بها علماً ـ فكيف يحيط المحدود بكمال غير المحدود ـ وإنما لنقف عند شيء من أنوارها وآثارها في النفس والحياة، فنفهم معناها، ونتأمل آياتها، ونسعى إلى تحويل المعرفة بها إلى إيمان حيٍّ وعملٍ صالح وسلوك يرضي الله تعالى.

إن أعظم ما تمنحه معرفة الله بأسمائه الحسنى أنها تعيد ترتيب القلب؛ فيعرف الإنسان إلى من يلجأ، وبمن يثق، ومن يخاف، ومن يرجو، فيتحرر من التعلق بالمخلوقين، ويأنس بالقرب من الخالق، ويوقن أن وراء كل قدر حكمة، ووراء كل أمر رحمة، وأن الله سبحانه أرحم به من نفسه وأعلم بما يصلحه.

وإذا كانت الدنيا تشغل القلوب بأسبابها وأحداثها وتقلباتها، فإن أسماء الله الحسنى ترد القلب دائماً إلى الأصل الكبير: إلى الله سبحانه، فتجعله أكثر طمأنينة عند الشدة، وأكثر شكراً عند النعمة، وأكثر تواضعاً عند القوة، وأكثر رجاءً عند الضعف.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لكاتبه وقارئه، وأن يرزقنا جميعاً العلم به، وحسن عبادته، والتخلق بما يليق بعباده من معاني أسمائه الحسنى، وأن يجعل هذه المعرفة نوراً لنا في الدنيا، ورحمةً لنا عند لقائه.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

ـ القرآن الكريم.
ـ تفسير القرآن الكريم للدكتور راتب النابلسي.
ـ أسماء الله الحسنى للدكتور راتب النابلسي.
ـ كتاب صحيح الإمام البخاري.
ـ كتاب صحيح الإمام مسلم.
ـ بدائع النجوم لابن القيم.
ـ صحيح ابن حبان.
ـ ابن ماجه.
ـ جامع الترمذي.
ـ مسند أحمد ابن حنبل.
ـ المستدرك على الصحيحين.

الفهرس:

ـ المقدمة	١
ـ الفصل الأول: **أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**	**٢**
أولاً: هى أساس العقيدة الصحيحة.	٣
ثانياً: هى الطريق لحب الله تعالى الذي يدفعنا إلى طاعته	٤
ثالثاً: العمل من خلال هذه المعرفة لأن يكون لنا نصيب يليق بنا من كل اسم	٥
رابعاً: أنها تعين على فهم آيات القرآن الكريم	٥
خامساً: اليقين بأسماء الله الحسنى تحيينا أطيب حياة	٥
سادساً: تجربة إبليس مع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا	٧
ـ الفصل الثاني: **اسم الله (الملك)**	١١
أولاً: معنى اسم الله الملك في اللغة	١٢
ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الملك وما يتلازم معه	١٣
ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الملك ونطبقه في حياتنا	٢٠
رابعاً: التخلق باسم الله الملك	٢٣
ـ الفصل الثالث: **اسم الله (الغفار)**	**٢٥**
أولاً: معنى اسم الله الغفار في اللغة	٢٥
ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الغفار وما يتلازم معه	٢٥
ـ هؤلاء سيغفر الله تعالى لهم	٢٨
ـ هؤلاء لن يغفر الله تعالى لهم	٣٢
ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الغفار ونطبقه في حياتنا	٣٤
رابعاً: التخلق باسم الله الغفار	٣٧
الفصل الرابع: **اسم الله (الرزاق)**	**٣٩**
أولاً: معنى اسم الله الرزاق في اللغة	٤٠
ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الرزاق وما يتلازم معه	٤١
**قانون السيدة هاجر	٤٤
ـ النقطة الأولي: أنواع الأرزاق	٤٧

ـ الرزق المادي	٤٧
ـ الرزق المعنوي	٤٧
**رزق الرزاق لمن كفر به	٤٨
ـ النقطة الثانية: مهمة الأرزاق في أقدار الله تعالى	٤٩
ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الرزاق ونطبقه في حياتنا	٥١
رابعاً: التخلق باسم الله الرزاق	٥٤
الفصل الخامس: **اسم الله (العظيم)**	**٥٥**
أولاً: معنى اسم الله العظيم في اللغة	٥٦
ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله العظيم وما يتلازم معه	٥٧
ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله العظيم ونطبقه في حياتنا	٦٥
ـ ما عَظَمَهُ العظيم	٦٦
رابعاً: التخلق باسم الله العظيم	٧١
ـ الفصل السادس: **اسم الله (الأعلى)**	**٧٣**
أولاً: معنى اسم الله الأعلى في اللغة	٧٤
ثانياً: الآيات التي توضح اسم الله الأعلى وما يتلازم معه	٧٤
ثالثاً: كيف نؤمن باسم الله الأعلى ونطبقه في حياتنا	٨٣
رابعاً: التخلق باسم الله الأعلى	٨٥
ـ الخاتمة	٨٨
- المراجع	٨٩
ـ الفهرس.	٩٠